

رسائل الإمام جابر بن زيد الكوفي

بسم الله الرحمن الرحيم وهو الله وحده على سبيلنا محمد وعلمه وعلمه وعلمه
هذه جوابات أبي الشعثاء جابر بن زيد إمام المذاهب رحمه الله ورضي عنه
من جابر بن زيد إلى الشعثاء ختم سلاوة الله عليه وآله
في أوامرك بتفويض الله والتفويض له استجاب الله
أنك تعلم ما لم تعلم من الأرض والسموات
هذا الله عز وجل لا اله الا هو
فكون شيا ولا تسقط
العرض والبرهان
البرهان والبرهان
علمه منكم منكم منكم
فمنكم منكم منكم منكم
منكم منكم منكم منكم

ضبط نصها
عمر وخليفة النعماني

رَسَائِلُ الْإِمَامِ

جَابِرُ بْنُ زَيْدٍ الْأَسَدِيُّ

حقوق الطبعة محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م

طُبِعَ هَذَا الْكِتَابُ صَدَقَةً جَارِيَةً لِلْوَالِدَةِ:
سَالِمَةُ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ رَاشِدٍ الْكَنْدِيَّةِ النَّزَوَانِيَّةِ
رَحِمَهَا اللَّهُ تَعَالَى

الناشر:
دار الدعوة
نالوت / ليبيا



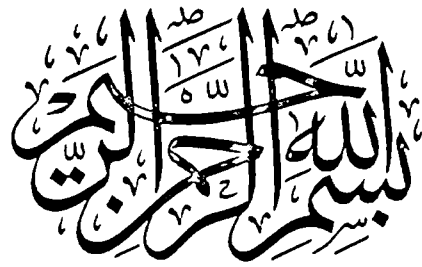
توزيع:
مكتبة خزائن الآثار
سلطنة عمان - بركاء

نقال: ٠٠٩٦٨٩٨١٧٧٧٨٩ - ٠٠٩٦٨٩٥٥١٠٠٢٥



الراعي الإعلامي:
موقع بصيرة الإلكتروني
موسوعة إلكترونية في العلوم الإسلامية
لسماحة الشيخ العلامة أحمد بن حمد الخليلي
المفتي العام لسلطنة عُمان
للتواصل: www.baseera.net - info@baseera.net







كلمة بقلم المراجع

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه. أما بعد؛ فقد كانت بداية العلاقة بين النامي وهذه الرسائل سنة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م عندما اكتشفت نسخة منها في مكتبة الشيخ يوسف بن مُحَمَّد البَارُونِي (ت: ٦ رمضان ١٤١٧هـ/ ١٥ يناير ١٩٩٧م) بالحِشَّان في جزيرة جربة بتونس، كما ذكر ذلك في مقاله الذي وَصَف فيه مخطوطات إِبَاضِيَّة نادرة.

وجاء اكتشافه لها أثناء زيارته الأولى للمكتبة البارونية - وَقِيَمَهَا الشيخ يوسف بن محمد - في شهر جمادى الأولى ١٣٨٨هـ/ أغسطس ١٩٦٨م، ضَمِنَ رحلته العلمية التي دامت أربعة أشهر في ديار الإِبَاضِيَّة بالشمال الإفريقي. يقول النامي في فاتحة مقاله (وصف مخطوطات إِبَاضِيَّة مكتشفة حديثاً في شَمال إفريقيا) الذي نَشَرَهُ بالإنجليزية ما تَرْجَمْتُهُ: «أما في جَزِيرَةِ جِرْبَةِ؛ فقمنا بزيارة المكتبات الثلاث الرئيسة:

- المكتبة الأولى: هي مكتبة الشيخ سالم بن يعقوب؛ الذي يعيش في غِزِن، وقد دَرَسَ في القاهرة أكثر من خَمْسِ سنوات على يد العالم الإباضي الراحل الشيخ أبي إسحاق إبراهيم اطفَيْش، وهو مُهْتَمُّ بتاريخ جربة، ومُعْتَنٍ بِجَمْعِ تراثها. والمخطوطات التالية حصلتُ عليها من عنده: شرح النونية؛ لإسماعيل بن موسى الجيطالي، وهو يَمْلِكُ جُزْأَيْنِ منه من أصل ثلاثة أجزاء. وتَبَيَّنُ أفعال العباد: لأبي العباس أحمد بن محمد بن بكر. وكتاب سِيرِ نَفُوسَةِ القديم: لِمُحَمَّد بن مُقَرَّن البَغْطُوري.

- المكتبة الثانية التي زُرناها تعودُ لأسرة الباروني في الحشَّان، وتُخَوِّي ما لا يقلُّ عن ٥٠٠ مخطوطة، أكثرُ من ١٢٠ منها لمؤلفين إباضيين، وهذه هي أكبر مجموعة مُفَرَّدَةٍ لكتب الإباضية، وهي مفتوحة أمام الباحثين للاطلاع عليها ودراسة مُحتوياتها.

- أمَّا المكتبة الأخيرة فتُخَصُّ أُسْرَةَ البَغْطُور في وَالْع، وللأسف فإنَّ هذه المجموعة في حالة مضطربة، وأوراقها ووثائقها مخلوطة ومُبْعَثَرَة، مِمَّا يستلزم عملاً شاقاً لتصنيفها وإعادة ترتيبها^(١).

والحق يقال؛ إن المكتبة البارونية - ذات النفائس والنوادر - كان لها النصيب الأوفر من مكتشفات النامي، كما يتضح ذلك من مقاله، ومن أعماله التي تَبَيَّنَ له الاشتغال على ضبطها وتحقيقها، فلا يكاد يخلو كتابٌ مِنْ كُتُبِهِ مِنْ اعتمادٍ على بعض مخطوطات البارونية. والعكس صحيحٌ أيضاً، فإن جهود النامي في الكشف عن ذخائر هذه المكتبة كان لها كبيرُ الأثر في توجيه الأنظار إليها، وفي إحياء بعض المجهولات من خباياها، وبَعَثَ كثيرٌ مما كان يُظَنُّ مفقوداً من كتب التراث الإباضي.

(١) سيأتي توثيق المقال لاحقاً بإذن الله.

وتتصدر مخطوطة رسائل الإمام جابر بن زيد مقال الدكتور النامي الأنف الذكر، فيقول في وصفها: «رسائل الإمام جابر بن زيد. عدد صفحاتها ٣٢ صفحة (مقاس ١٥ × ٢١ سم)؛ بمعدل ١٤ سطرًا في الصفحة، كُتبت بخط مغربي قديم، وهي غير مؤرخة للأسف، لكن نمط كتابتها ونوع ورقها يُظهر أنها قديمة، رُبما تعود إلى القرن السادس الهجري^(١). والرسائل تشغل الصفحات الـ ٣٢ الأولى من هذه المخطوطة ذات المحتويات المتعددة. وقد استعرتُها من الشيخ يوسف بن مُحَمَّد الباروني في الحِشَّان (جربة). وثُمَّ نسخة أخرى قيل لي إنها موجودة في حيازة الشيخ الراحل صالح بن عُمَر في بني يزجن (ميزاب).

نصُّ المخطوطة يخوي ثَمَانِي عَشْرَةَ رسالة من جابر بن زيد إلى أصحابه وأتباعه، والورقة الأولى منها مفقودة. ومحتواها جوابات للإمام جابر على أسئلة وُجِّهَتْ إليه من قِبَل أتباعه، وكلُّ رسالة تبدأ على هذا النحو: من جابر بن زيد إلى..... سلامٌ عليك، فإنِّي أحمَدُ إليك الله... إلخ. ثُمَّ بعد التحية والخطبة يبدأ الإمام جابر بالإجابة على الأسئلة الواحد تِلْوَ الآخر. وتَكْمُنُ أَهْمِيَّةُ هذه الرسائل في أَنَّهَا تُمِدُّنَا بِمَعْلُومَاتٍ عن نشاطات الإمام جابر بن زيد، والظروف والأوضاع المعاصرة له. وقد وُجِّهَتْ الرسائلُ إلى:

١ - ناشد (؟) راشد) بن خيثم.

٢ - عثمان بن يسار.

٣ - طريف بن خُلَيْد.

٤ - غطريف بن عبد السلام.

٥ - الحارث بن عمرو.

(١) هذا الاحتمال يرقى بها إلى زمنٍ قديمٍ جدًا. ولعل الفحص المخبري لأوراقها يقودنا إلى نتيجةٍ نطمئن إليها.

- ٦ - عنيفة.
- ٧ - نافع بن عبد الله.
- ٨ - يزيد بن يسار.
- ٩ - عبد الله بن سَعْد.
- ١٠ - مالك بن أُسَيْد.
- ١١ - سالم بن ذَكْوَان.
- ١٢ - نُعْمَان بن سلمة.
- ١٣ - عبد الملك بن المهلب.
- ١٤ - حَبْرَة بنت ضَمْرة^(١).

وتنتهي بالعبارة التالية: تَمَّ ما وُجِدَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ من جوابات^(٢) أَبِي الشعثاء جابر بن زيد.

بعد هذه الْمَجْمُوعَة مباشرة تأتي مَجْمُوعَة أخرى من الرسائل بين جَنَّاو بن فَتَى وبعض علماء الإباضية في فَرْزَان: (جوابات جَنَّاو بن فَتَى الْمَدْيُونِي إلى بعض أهل فَرْزَان). وأحسبُ أَنَّ كِلْتَا الْمَجْمُوعَتَيْنِ من الرسائل قِسْمٌ من كتاب: (جوابات الأئمة) للشيخ إِسْمَاعِيل بن موسى الجيطالي^(٣).

(١) ضَبَطَ النامي بعض هذه الأسماء على نحوٍ مغاير في النص الذي حققه، وقَدَّمَ معلومات تاريخية عن بعضهم في أطروحته.

(٢) هذا الاسم: (جوابات جابر بن زيد) هو الذي مَشَى عليه النامي في أطروحته عند الإحالة إلى المخطوطة، لكنه اعتمد بعد ذلك في التحقيق اسم: (رسائل جابر بن زيد).

(٣) هذا الاستنتاج من النامي جديرٌ بالدراسة، فهو يَحْتَمِلُ أن تكون جوابات الإمام جابر بن زيد، وجوابات علماء فَرْزَان؛ قِسْمًا من الكتاب الكبير الذي جمعه العلامة أبو طاهر الجيطالي (ت: ٧٥٠هـ) من ما جَمَعَ من (أجوبة الأئمة) في ثلاثة أجزاء، كما ذكر ذلك البدْرُ الشماخي في ترجمته في كتاب السَّيَر.

إنَّ رسائل الإمام جابر بن زيد المذكورة آنفاً تُعدُّ أقدمَ الوثائق الإباضية التي عَثَرْنَا عليها. وجابرٌ هو الإمامُ الأول للفرقة الإباضية، وواحدٌ من أهمِّ رجالات الحديث لديهم، وقد خَلَفَ رواياتٍ وأجوبةً كثيرة. ومع ذلك فإنَّ معرفتنا بِحَيَاتِهِ وَمَجَرَّاهَا ضئيلةٌ جدًّا، وأحسب أنَّ هذه الرسائل سوف تُلقِي بعضَ الضوء على حياته»^(١).

هذه النبذة التي قدمها النامي في مقاله هي أولُ تعريفٍ بهذه الرسائل، وفيها رَسَمَ الخطوط العريضة لمضمونها، وألَمَحَ إلى أهمية ما ستقدمه دراستها من كشفٍ لملامح حياة الإمام جابر، ومرحلة نشأة الحركة الإباضية. وكان النامي نفسه أوَّل الساعين إلى دراستها وتحليلها، ولا أبالغ إن قُلْتُ إن مقاله هذا الذي وَصَفَ فيه مكتشفاته من المخطوطات الإباضية كان المنطلق لأبحاثه المستقبلية، فكأنه رَسَمَ فيه خُطَّةَ عمله للسنوات اللاحقة، وأتى على معظم ما وَصَفَ من المخطوطات بالدراسة والتحقيق.

كانت الخطوة الثانية - بعد التعريف بالمخطوطة - رَقْنُهَا بِالآلَةِ الْكَاتِبَةِ سنة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م في ٤٣ صفحة. ونلاحظ أن النامي في مقاله يصرِّح أن ورقته الأولى مفقودة، ثم إنه في نسخته المرقونة ابتداءً بالورقة الثانية، وكتب أعلاها بخط يده: «بقية الرسالة رقم ١. الناقص منها صفحة واحدة». وعند الرجوع إلى النسخة التي صَوَّرَهَا النامي بالميكروفلم نجدها فعلاً تبتدئ بالورقة الثانية، ويظهر من خلال الترقيم الحديث على صفحاتها أنها كانت مبعثرة، فاجتهد النامي في ترتيبها، ولم يجد الورقة الأولى فاعتبرها مفقودة.

(١) A Description of New Ibadi Manuscripts from North Africa (مقالٌ باللغة الإنجليزِيَّة)؛

٢٦ صفحة؛ مَجَلَّةُ الدِّراسات السَّامِيَّة Journal of Semitic Studies؛ المملكة المتحدة؛ المجلد

١٥ / العدد ١ / ص ٦٣ - ٨٧؛ ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

غير أن المخطوطة الأصل - التي ما زالت محفوظة إلى اليوم بالمكتبة البارونية؛ برقم ٢٨ - تشتمل على الورقة الأولى من الرسائل، ولعلها كانت عند اكتشاف النامي لها ساقطة أو مُنْدَسَّة بين أوراق مخطوطة أخرى^(١). وعلى كل حال كانت أوراق المخطوطة سيئة، ومتشعبة بالرطوبة، ومتمزقة الأطراف، ومأزوضة - حسب تعبير النامي - أي أثت الأرضة على بعض أجزاءها فأكلته. فوجد النامي صعوبة في فك رموزها الخفية، وقراءة بعض ألفاظها المستعصية، فكانت الخطوة الثالثة البحث عن نسخة مخطوطة أخرى للمقارنة، والاستعانة بالمشايخ لتصحيح قراءتها، فأرسل نُسخًا من النص المرقون إلى مَنْ يَسْتَأْنِسُ برأيه من معاصريه.

ويُخَكِّي نَفْسُهُ قِصَّةَ اشْتِغَالِهِ بِهَا فِي رِسَالَةٍ وَجَّهَهَا إِلَى الشَّيْخِ أَبِي الْيَقْظَانَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَيْسَى (ت: ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)^(٢) قال فيها: «أَمَّا فِي نِطَاقِ الْعِلْمِ النَّافِعِ فَقَدْ فَرَعْتُ مِنْ طِبَاعَةٍ وَمُقَابَلَةٍ رِسَالَةِ الشَّيْخِ يَوْسُفَ بْنِ خَلْفُونٍ، وَبَعَثْتُ بِنَسْخَةٍ مِنْهَا لِلشَّيْخِ الْجَلِيلِ الْأَسْتَاذِ بَيُوضِ إِبْرَاهِيمَ - حَفَظَهُ اللَّهُ - لِمُرَاجَعَتِهَا، فَهِيَ عِنْدَهُ، وَفَرَعْتُ حَتَّى الْآنَ مِنْ طِبَاعَةِ رِسَائِلِ الْإِمَامِ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ عَلَى الْآلَةِ الرَّاقِنَةِ مِنْ نَسْخَةٍ قَدِيمَةٍ رَدِيئَةٍ، وَسَوْفَ أُطْبِعُ مِنْهَا عِدَّةَ نُسخٍ لِأَبْعَثَ لَكُمْ مِنْهَا لِتَصْحِيحِهَا، لِأَنَّ هُنَاكَ بَعْضَ الْعِبَارَاتِ صَعُبَ عَلَيَّ تَخْرِيجُهَا جَدًّا، وَعَلِمْتُ أَنَّ نَسْخَةً مِنْهَا فِي مَكْتَبَةِ الشَّيْخِ صَالِحِ بْنِ عَمْرِ، فَلَعَلَّ أَحَدًا مِنْكُمْ يَظْفَرُ بِفُرْصَةٍ لِمُقَابَلَتِهَا بِذَلِكَ الْأَصْلِ، وَسَوْفَ يَتِمُّ إِرسَالُهَا فِي حُدُودِ نَصْفِ شَهْرِ بِحَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى...».

(١) يبدو لي أن النامي لم يتأخز كثيرًا في اكتشاف الورقة الساقطة، لأنه صرَّح في مقاله الذي وَصَفَ فِيهِ المخطوطة أَنَّ الرِسَالَةَ الْأُولَى مَوْجَّهَةٌ إِلَى نَاشِدٍ (أَوْ رَاشِدٍ) بْنِ خَيْثَمٍ، وَهَذَا الْاسْمُ وَارِدٌ فِي الصَّفْحَةِ الْأُولَى السَّاقِطَةِ، كَمَا صَرَّحَ بِذَلِكَ أَيْضًا فِي رِسَالَةٍ كَتَبَهَا لِلشَّيْخَةِ السَّالِمِيَّةِ مُؤَرَّخَةً فِي ١٦ نَوْفَمْبَرِ ١٩٦٨م. أَي بَعْدَ اكْتِشَافِهَا المخطوطة فِي جَرِبَةٍ بِثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ فَقَطْ.

(٢) النامي: رِسَالَةٌ إِلَى أَبِي الْيَقْظَانَ (مُؤَرَّخَةٌ فِي ٤ أَوْغُسْطُسِ ١٩٦٩م) فِي مَقْدَمَةِ التَّرْجُمَةِ الْعَرَبِيَّةِ لِأَطْرُوحَةِ النَّامِيِّ عَنْ دَارِ الْغَرْبِ الْإِسْلَامِيِّ؛ ص ٢٦.

والنسخة المرقونة تتضمن ١٧ رسالة أو جوابًا من مجموع ١٨ في الأصل المخطوط، موجهة إلى ١٤ من أتباع الإمام جابر. وقد سبق أن رأينا وجود نقص في الرسالة الأولى عند النامي، لكنها لم تكن هي الرسالة الناقصة في النسخة المرقونة، فقد أثبت النامي ما تبقى منها، وإنما سقطت الرسالة الأخيرة - وهي الثامنة عشرة - من النص المرقون، وهذا أمرٌ يبعث على التساؤل! وكنتُ أحتَمِلُ شقوطة الرسالة الثامنة عشرة من النسخة الواصلة عُمانَ، وهو احتمالٌ واردٌ وتأنم ما دُمنا نجهلُ طريقةً وُصولها، غير أنه يظل محل شكٍّ حتى نُوازنها بالنُسخ التي وَصَلَتْ إلى جهاتٍ أخرى، ورسالة النامي إلى أبي اليقظان المنقولة أعلاه تفيد إرساله نُسخًا من هذه الرسائل إلى وادي ميزاب، لكننا لا نعلم مصيرها الآن.

وأيًا كان واقع الحال؛ فمِمَّا يَلْفِتُ النظرُ أن هذه النسخة المرقونة وصلت صورةً منها إلى عُمانَ بطريقةٍ ما، واستقرت بالمكتبة الإسلامية العامة في رُوي، وإليها رجع الباحثون في دراساتهم. وأنا أحتَمِلُ أن يكون النامي قد بعثها إلى صديقه العُماني الشيخ سالم بن حَمَد الحارثي (ت: ١٤٢٧هـ)، الذي سَلَّمَهَا - أو سَلَّمَ نسخةً منها - إلى وزارة التراث، ثم أودِعَتْ في المكتبة الإسلامية. لأنني وجدتُ ورقتين من هذه النسخة بعُمان، وعليها تصويبات بقلمٍ أَشَبَهَ بِقَلَمِ الشيخ الحارثي.

وثمة احتمالٌ آخر - ولا مانع من وقوع الاحتمالين معًا - هو أن تكون الرسائل وصلت عن طريق الشيخ الشَّيْبَةِ محمد بن عبد الله السالمي (ت: ١٤٠٦هـ)، وذلك ما تؤيده رسائلُ النامي إليه. ففي رسالة مؤرخة في ١٦ نوفمبر ١٩٦٨م كَتَبَ النامي: «وإنما شَغَلْنَا عن الكتابة إليكم أنني قمتُ برحلة في ربوع الإخوان في (جبل نفوسة) و(جزيرة) و(وادي ميزاب)، استغرقت أربعة أشهر كاملة، كنتُ أسعى إلى الحصول على بعض المخطوطات التي أعتمدُها في دراستي. لقد

سعدتُ بزيارة الإخوان، وقد وجدتُ بعض بُغْيَتِي، والذي أُحِبُّ أن أسألكم عنه هو أنني عثرتُ على بعض كُتُبٍ منسوبةٍ لبعض أئمتنا، مثال ذلك:.... رسائل جابر بن زيد، وقد عثرتُ منها على ١٨ رسالة إلى خواصّه وأصحابه، يجيب فيها على أسئلتهم، فهل عندكم كتبٌ هذه صفتها؟ وما رأيكم في هذا؟».

إلى أن قال: «وإنْ أَمْكَنَ؛ أرجو أن تكتبوا لي عن هؤلاء الذين كَتَبَ إليهم جابر - إن كان لديكم عِلْمٌ بأحوالهم، أو يَمَنُ كَتَبَ عنهم - وهم:

١ - راشد أو ناشد بن خيثم.

٢ - عثمان بن يسار.

٣ - ظريف أو طريف بن خليلد.

٤ - غطريف بن عبد السلام.

٥ - الحارث بن عمرو.

٦ - عنيفة.

٧ - نافع بن عبد الله.

٨ - يزيد بن يسار.

٩ - عبد العزيز بن سعد.

١٠ - مالك بن أسيد.

١١ - سالم بن ذكوان.

١٢ - نعمان بن سلمة.

١٣ - عبد الملك بن المهلب.

١٤ - حبرة بنت ضمرة^(١).

(١) انظر كتاب: الشيبة أبو بشير محمد بن عبد الله السالمي؛ بقلم: محسن الكندي. ج ٢، ص ٣٥٨.

ويقول أيضًا في رسالة أخرى غير مؤرخة بعثها من كمبردج (في سنة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م تقريباً): «وبالنسبة لرسائل جابر بن زيد؛ فسأقوم بتصويرها لكم، مع كتاب النكاح لجابر، وكتاب الصلاة... سأرسل لكم صوراً منها، وصورة من النسخة التي كتبتها بالآلة الراقنة لرسائل جابر، وإذا حصلنا على نسخة أخرى منها فأنا أنوي تحقيقها وإعدادها للنشر، مع مقدمة عن سيرة جابر بن زيد عليه السلام، والنسخة كما ستري رديئة وكثيرة التصحيف، مع بعض الخروم لِقَدَم النسخة، وأنا أعذر لتأخير إرسالها إليكم، فقد كانت النية إرسالها من وقت بعيد»^(١).

وكانت لهذه المراسلات - مع أعلام المذهب شرقاً وغرباً - ثمرة طيبة، فنقرأ في رسالة من أبي اليقظان للنامي؛ مؤرخة في أول ربيع الأول ١٣٩٠هـ: «أما رسائل الإمام جابر عليه السلام فإن الأخ الأستاذ أفلح في صدد الجواب عنها، فانتظره قريباً سيوافيك به إن شاء الله»^(٢). ونقرأ في رسالة كتبها الشيبه السالمي إلى النامي؛ مؤرخة في ٥ جمادى الأولى ١٣٨٩هـ: «عساك تشفعنا بتصوير ما وجدته من أجوبة الإمام جابر بن زيد». ويذكر له في رسالة أخرى مؤرخة في ٢٩ رجب ١٣٨٩هـ عدم وجود نسخة منها بعُمان: «وما وعدتني به من تصوير الرسائل أرجوه، ولك الفضل، وأن لا تعتذر من المذكور بكتابك من الرسائل جميعاً، لعدم وجودها عندنا». ثم نَقَلَ له بعض ما وَقَفَ عليه في المصادر المتاحة لديه من أخبار الإمام جابر^(٣).

(١) المصدر نفسه؛ ص ٣٦٤.

(٢) الرسالة محفوظة في خزانة الدكتور النامي بليبيا. و«الأستاذ أفلح» هو الشيخ بيّوض.

(٣) هذه الرسائل كلها محفوظة في خزانة الدكتور عمرو النامي في ليبيا. ومن الطريف أن يقول الشيبه السالمي في رسالته معتذراً للنامي عن شح الأخبار التاريخية: «وأصحابنا كأنهم خُلِقُوا قبل التاريخ، فلا تجد لهم به اهتماماً!!».

ومن ثمرات هذه المراسلات - التي لم أجدها مُصَرَّحَةً على لسان أحد؛ فيما بين يدي من وثائق - : حصول النامي على نسخة أخرى من رسائل الإمام جابر بن زيد. وقد جَبَرَت النقص الحاصل في النسخة البارونية، وصَحَّحَتْ بعض ألفاظها^(١). كل ذلك كان دافعاً قويا للنامي إلى اتخاذ خطوة رابعة تتمثل في تحقيق الرسائل وإعدادها للنشر، مع مقدمة عن سيرة جابر بن زيد - كما ذكر ذلك في إحدى رسائله للشيبة السالمي - ، وَيَسَّرَ الله له الشروع في هذه الخطوة، غير أننا نأسف إذ لم نجد سوى ورقاتٍ من هذا العمل، فيها بياض كثير، وحواشٍ غير مكتملة، تشير إلى أنها مُسَوَّدَةٌ لم تُحَرَّر. ويبدو أن بداية التحقيق هذه لم تُعَقَّبْها خطوات أخرى، فلم نظفر بشيء آخر حولها فيما تبقى من خزانة الدكتور النامي.

والخلاصة أن النامي لم يألُ جهداً في خدمة هذا التراث الضارب في القِدَم، فقد نَقَضَ الغبار عنه باكتشاف نسخته في المكتبة البارونية، ثم كَتَبَ تعريفاً به يتضمن ملامح عامة عن محتواه وأهميته، ثم رَقَنَ نصّه بالآلة الكاتبة، وأودَعَهُ نُتْقاً متناثرة من ملحوظاته بقلمه، ووَزَّعَهُ على أعلام عصره ليستفيد من نظراتهم حوله، كما سَلَّطَ الضوء عليه أيضاً في أطروحته، وتناول بعض جوانبه بتحليلٍ موجزٍ معتمداً على النسخة المرقونة التي خَرَّجها^(٢). وسعى إلى

(١) مرث علينا من قَبْلُ إشارتان من الدكتور النامي إلى وجود نسخة أخرى سمع بها في خزانة الشيخ صالح بن عمر في ميزاب بالجزائر. ولست أدري هل هي بعينها النسخة التي حصل عليها فيما بعد أو لا؟ ولم أجده في مُسَوَّدات النامي وَضْعاً لهذه النسخة الجديدة، ولا تصريحاً بمصدرها، كل ما وجدته أنه استعان بها في التحقيق، وسَمَّاهَا النسخة (ب). وقد وصلتني نسخة مخطوطة للرسائل من خزانة الشيخ صالح بن عمر، لكن ألفاظها لا تتفق مع ألفاظ النسخة التي اعتمدها النامي. وذكر الباحث ابن إدريسو أن بخزانة الشيخ صالح بن عمر لَعْلِي نُسخَتَيْنِ من هذه الرسائل. فلعل إحداها وصلت إلى النامي. انظر - ابن إدريسو مصطفى بن محمد: الفكر العقدي عند الإباضية حتى نهاية القرن الثالث الهجري ص ١٧٣.

(٢) انظر: ص ٨٧، ٨٩، ٩٢، ١٢٣، ١٤٢ من الترجمة العربية عن دار الغرب الإسلامي.

الحصول على نسخة رديفة تساعد في ضبط النص حتى تيسر له ذلك، ولم يَبْقَ إلا التحرير الأخير، غير أن الأقدار لم تُسَعِفْهُ إلى ذلك فيما يبدو.

وعلى كُلِّ فَإِنَّ النَّصَّ الذي خَرَّجَهُ - مرقونًا - كان مَحْطَّ أنظار الباحثين، وعليه بَنَوْا دراساتهم وتحليلاتهم، ونَذَكُرُ هنا من الدراسات التي بُنِيَتْ على نص الرسائل الذي خَرَّجَه النامي: دراسة الدكتور أحمد درويش في كتابه «جابر بن زيد - حياة من أجل العِلْم» (مط: عُمان ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ودراسة الدكتور صالح بن أحمد الصَّوَّافِي في كتابه «الإمام جابر بن زيد العماني وآثاره في الدعوة» (مط: عُمان ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، ودراسة الدكتور زايد الجهضمي في رسالته «حياة عمان الفكرية حتى نهاية الإمامة الأولى ١٣٤هـ» (مط: عُمان ١٤١٩هـ/١٩٩٩م)، ودراسة الدكتور سامي صقر أبو داود في رسالته «الإمام جابر بن زيد وأثره في الحياة الفكرية والسياسية» (مط: عُمان ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، ودراسة الدكتور فرحات بن علي الجعبري في بَحْثِهِ «تَحْلِيل رسائل الإمام جابر بن زيد تَمْهِيْدًا لِحَقِيقَتِهَا» (مط: الأردن ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)^(١). ودراسة الدكتور محمد بن سعيد المعمري في أطروحته للدكتوراه بألمانيا.

أما نَصُّ التحقيق الأخير فلم يُقَدَّرْ له الانتشار، وبقي قابلاً ضمن أوراق النامي حتى ظَهَرَ مِنْ وَقْتٍ قَرِيبٍ. ولا ريب أن هذا الجهد الذي بذله النامي في نص الرسائل حَرِيٌّ أَنْ يُنْسَبَ إِلَيْهِ؛ لَأَسْبَقِيَّتِهِ وَفَضْلِهِ فِي الْكَشْفِ عَنْهُ وَالتَّعْرِيفِ بِهِ وَتَحْلِيلِ مَضْمُونِهِ، لَذَا سَعَيْتُ فِي هَذَا الْكِتَابِ إِلَى أَنْ أَلْتَزِمَ بِالْقَدْرِ الذي حرره النامي، على الرغم من وجود نقصٍ فيه، وَجَمَعْتُ بَيْنَ مَلْحُوظَاتِهِ الَّتِي دَوَّنَهَا عَلَى حَوَاشِي النسخة المرقونة، وَبَيَّنْتُ تَعْلِيْقَاتِهِ الَّتِي ضَمَّنَهَا نَسْخَتَهُ الْآخِرَةَ، وَسَيَجِدُ الْقَارِئُ نَصُوصًا اسْتَشْكَلَهَا النامي فَوْضَعَ عَلَيْهَا عِلَامَةً

(١) نشرها الدكتور فرحات الجعبري فيما بَعْدُ مُقَدِّمَةً لِحَقِيقِ الرِّسَالِ (الطبعة الأولى: ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م. مكتبة الضامري للنشر والتوزيع - السيب / سلطنة عمان).

استفهام (؟)، كما سيجد بياضا في بعض المواضع لم يَهْتَدِ إلى إكماله في النسختين، أو كلماتٍ مشكّلة لم يَعْرِف وجه الصواب في قراءتها. وكلّ ذلك أمرٌ وارِدٌ جدًّا في نصّ تقادّم العهدُ به، وتوالى أيدي الشُّساخ على تحريف ألفاظه.

واستكمالا لما توصّلَ إليه النامي من استنتاجاتٍ حول النص وظروفه، وتحقيقًا لرغبته في تصديره بحديثٍ عن سيرة الإمام جابر بن زيد؛ ارتأيتُ أن أضع ترجمةً للفصل الذي كتبه النامي في أطروحته عن الإمام جابر ونشاطه العلميِّ والعملِي، ليكون تمهيدًا بين يدي النص. عسى أن أكون قد وَفَّقْتُ في إخراج هذا العمل بهذه الصورة، وأسأل الله قَبُولَه ونفعه، وأشكر كلَّ مَنْ مدَّ يد العون لي في إنجازهِ، وأخصُّ بالشكر عائلة النامي الكريمة التي وَضَعَتْ ثقتها فيّ. وإلى الله نتضرع أن يجزي النامي عنا خيرَ الجزاء على أعماله الجليلة المباركة.

سلطان بن مبارك الشيباني

الجمعة ٨ جمادى الأولى ١٤٣٩هـ

[illegible]

صورة الصفحة الأولى من مخطوطة رسائل الإمام جابر بن زيد

نسخة المكتبة البارونية - جربة / تونس

وهي الصفحة التي لم يعثر عليها النامي بادئ الأمر

[illegible]

صورة الصفحة الثانية من مخطوطة رسائل الإمام جابر بن زيد

نسخة المكتبة البارونية - جربة / تونس

ماخوذة من شريط الميكروفلم الذي صوّره النامي

بسم الله الرحمن الرحيم وعلى الله وسلم على سيرة نبي محمد وعلى آله وصحبه وسلم
 هذه جوابات أبيه الشفاء جابر بن زيد أما مع المدة هذه راحة الله ورحمة الله
 من جابر بن زيد إلى رشت بن خيثم سلام عليك ولانيه اجمع اليك الله الغاية لا اله الا هو
 ع وأوصيك بتقوى الله والحب لله لما استجبك الله واد الامانة فيما اتيهك الله عليك
 انك تعلم ما لم تكلف سماء ولا الارض ولا جبل شفعة من ان تصيغ من ذلك شيئا في هذا
 بهذا الله ما هو استخفا واعلم ان الامانة التي عرض عليك فيها وشرايعه وبرائيه
 في الاسماع والابصار والافئدة والنسب والجوارح والملازمة والكهول والركوع والجمود
 والصلوة والجوار وما سوا ذلك مما امر به ونها عنه المومنين مستجبين عليك واورثه
 ورثة بعضهم من بعض الاخر تاجع في الارض مع علم وشهوة ناس فكفون شيئا ولا ينسوه
 ولا تكن ملبوسا عليك ولا تخذ بعرض من الدين ولا تشتم امنية المبررين واعلم ان
 اهل الدنيا لروا من الله به حجة مثل ثلثين في الدنيا وعلى ذلك يوم القيامة اما كرامة لا فرامة
 بعد هذا افضل منها واما هوان لا هوان بعد استدائه والمفجور من فقرته بئس منه دون
 المومنين والها لك المراثب المشربص المبتون من خالف مقلبه مشهوده ومن لم يبلغ
 علمه منكف لسانه جاذ اتاك كتابه جلدرك امرك واحيا ما مات منه فملا ذلك
 بنسب الله وتلق اليه في المسئلة وتخرج اليه بما دعا على نفسه ان يبارك لنا ولك

٩٦

وكسرها وعظمتها وإن الله قد قسم لك من ذلك ما لا تبلغين له جزء ولا بد
لك من أن تستليني عن ذلك بأنكرتي الذي يورثك الله من الشكر لله ونعمه
واعلمك الله ما تحفظين به لأشواق الخير أنساب به الشكرين وإن الله أنساب أجسادكم
الشكرين ثم إن كان الخير عكاه من السعي في الدنيا والتعمير فيها صغيرا
فغير أن تعمير الدنيا كلها في عيم الآخرة وتعمير كالجنة في جوف الأرض فليكن
حرمك وكلبك وجهك وجهك واجتهدك وحديثك وحديثك وحديثك وحديثك
في الكفران يعني كرامه وإن الله قد حددك وخوفك ثار وانذارك بكشفه
ورشدك في جنته وأخبرك بالخير قبل أن يلبس ما عنده من الكفران فمما تسكين به
نارهم وثقلوا به أولياءهم عليهم وأخبرك بالخير بعدد به من عذب من أعدائهم
بكل الأمرين قد اتخذ الله به عليك الحق في الذي أقررت به عرفة ذلك طبع
الله منك المدة في الجدة والافوة والابانة تنقل الله ربك والاهنا ولاهنا
أن يخلصنا وإياك كما أصلي به من كمال قبلنا من المؤمنين وإن يجب لنا ولك
في الذي أنعم علينا ما يرضاه عند ويجعلنا به شاكركين وأما الذي ذكرت من الماء
يخفف جرح المرأة اليوم وعامته ثم تصبه بعد الغسل فلا بأسه وليس عليه شيء
غسل منه إلا أن تفرج المرأة بالماء وتغسل ما صابها منه وأما الذي ذكرت من
المرأة تصبه ثوبها ولم تغسل يدها من خرقها مما استكملت المرأة
أن تفرج ثيابها بالشفط مع أن لا بد جعسى أن تعذر بكثير من تلك الأمور
وأما الذي ذكرت عن الوليدة ياتيهامعها فلا يترجىها تسليح عند الغسل غسل
وتغسل فان الغسل واجب والذي ذكرت من نفي الثياب فلا إلا أن يغيب
للتوء ما يغسل عليه غسل ما صاب من الثياب وإن لم تغسل على ما صاب من الثوب
تخفف أن شاءت وأما الذي ذكرت من الرجل يجتمع مع وليه في بيت ولا يخل
والآخر تكفر إليه بهذه الفجح ما ير الناس وأما الذي ذكرت من رجل حلب

... ابنه يسلمهم الله...
 والذي...
 انطلقت الى اهلي التمس اوانا فسبقوني بامرهم فان لم يقدر ما عمل ولا يصلح ظلمهم .
 واما الذي ذكرت من رجل استاجر رجلا بخمسين جريها فقال صاحب النخل اني استاجرك
 بلوم او بر او ما سوى ذلك من الشر على ان اعطيك من ثمرة ارضي خمسين جريها او ما
 سوى ذلك من العدد وزعت انه قطع ان الثمرة هلكت فان ذلك لا يذهب اجره وان اشترط
 من ثمرها يعطى اجره وان لم تخرج الثمرة التي شرط له منها .
 واما الذي ذكرت من رجل استاجر رجلا ان يقوم على ارضه ويخله بثمره ثمر نخلات او عشرين
 نخلة ام ما شاء الله من عدد من وتزمت انه اعطى له النخلات التي استاجره عندهن فان ذلك
 ما لا يوجب الا بشرط مكنت او معلومة وعدت .
 واما الذي ذكرت من رجل اشترى من رجل نخلة فاستوجبها ثم زعت ان الذي باع النخل
 ان انما يملك النخل ولم يملك الارض ، فكذب ليس له ذلك ، ان النخل لا يصلح الا بالارض
 عنه ما جرى فيه عروق النخل .
 واما الذي ذكرت من رجل اشترى من رجل ارضا لا يرى الا انها له ثم عمرها فباعها رب الارض
 فقال ارضي لم اباعها ولم ابيعها ، فاشبهك ان هاشما قضى في مثل ذلك ان تقوم الارض فما
 زادت على ثمنها الاول اخذ من بائعها الاول الذي باعها وقضى للذي اشترها على رب
 الارض ما انفق فيها ~~فقط~~ واجر عمالة ما عمل فيها ، ولا اراه الا نعم يا قضى .
 واما ما ذكرت من رجل يبيعك ذكوه حتى يهني فان ابنه عيان كان يقول ذلك ذاكته نعم .
 واما ما ذكرت من ولدك صبي عيان هل يصلح اخذاهن ، فلا يصلح لسلهم ان يشتري منهم
 شيئا بياض .
 واما الذي ذكرت من رجل يشتري بقال وثية فيبيع خدعه ان يخدمه فما باع في امر
 حتى يشتري به عن ماله فلا بأس ، وان باع ماله بفضه على بعض بين مال الرجل الحق ان
 في شيء . واما ان يشتري بظلم فان ماله لا يصلح لرجل مسلم ان يشتري مالا بفضه صاحبه

صورة الصفحة الأولى من النسخة التي رقتها النامي بالآلة الكاتبة

نسخة المكتبة الإسلامية - روي / عُمان

اعطيناه جميعا بيننا من الذي لنا ، فالمال من الرجل رزق ان يرد عليه ماله ، ليس لقوم ان ياخذوا من مال آخر وان اعطوه ان كان على هذا النحو ، الا ان يكون القوم فيما بينهم بمنزلة اهل اللحر (٢) فقد اخبرتك ، وقد بلغني انهم يتقولون في سمعهم على ذلك .

واما الذي ذكرت هل يجي* حال من الميراث يكون فيه لاهل النعمة نصيب ؟ واما ابن صرغتمه بلغني انه اوتي ميراث مولاة فاعتق عنه به وتصدق . واما ابن عباس فكان يقول : لا ارى اهل النعمة - اذا لم يكن غيرهم يجعل لهم ولاية - الا احق به ، ~~يكتسبونها~~ كانه يجعل الولاية شبه الطعمة لهم ميراثا واما ان عرف اهل الرحم والميراث لهم وان لم يكتسبوا فمن ينالهم شي* من الميراث في القصة ، وقد يقول الناس فيه ما قد طعت . واما ^{الرقى} ذكرت من انكاتب لها المال ، كاتبت على امر ثم اطلع موالها على مالها فقالوا كتمنا مالها ، فان كانت سئلت من مالها فاخبرتهم الا مال لها فالمال مالهم ، وان كانوا كاتبوها ولم يفتشوا عن شي* فعسى ان يفتش لها مالها ، الا ان ابن عباس كان يقول : ان كان له ولد كتبهم في الرقي ، وزعم مع ذلك عكرمة - قبي ابن عباس - ما كان من رقي لم نعلمهم في الرقي ، ويقول : انما كاتب على نفس واحدة ، وما ارى ان جاز له ماله ان يجعل الرقي بمنزلة المال ، وان احب مكاتبه الناس ان يقول رجل لي من الولد كذا وكذا ، ولي مال ، وانا بخير ، فلا يكون عليه فيه نكاح .

واما الذي ذكرت من مكاتب كاتب فكتب له الكتاب فلم يعط شيئا من اجل صحيفة كتبها الا ان يعلم منه خير ونصح وجهه ، فليس لهم ان يردوه وهو غريم من الغرما* لهم ان يستحقوه بالذي لهم قبله ، ويشتدون عليه ، غير ان عكرمة يقول : اذا ادى من مكاتبته شيئا فهو غريم من الغرما* ، وان لم يرد اخذ بالشرط الذي عليه ، وزعم ان اهل المدينة لم يزالوا يفعلون ذلك .

واما الذي ذكرت من مال المضاربة يعطاه الرجل هل للرجل صاحب المال ان يشترط عليه ؟ فان ابن عباس ينهى عن ذلك الا ان يقول له لا تبرح بمالي ولا تخاطر به بحرأ ، فاما ان يقول اشترى كذا وكذا ولا تشتتر كذا وكذا فلا .

واما الذي ذكرت من شركة الدهاقين في ارضهم فلا يحل لسلم شركة شرك من اهل الكتاب ولا غيرهم لما يستحلون من الذي يحرم عليهم . والسلام عليكم ورحمة الله

صورة الصفحة الأخيرة من النسخة التي رقعها النامي بالآلة الكاتبة
نسخة المكتبة الإسلامية - روي / عُمان



لعمد الطب ہر المہلک + من جا ہر ہنہد

● 本報記者 陳國治 專訪 台灣醫學會 泌尿科專科醫師 吳國治

صورة صفحة من نسخة مرقونة للرسائل، وعليها تعليقات بخط مجهول
(المصدر: خزانة خاصة/ عُمان)

رسائل جابر بن زيد

عشرون رسالة بعث بها إلى تلميذه وأهل
موذته من كتبوا إليه يستفتونه ويقبسون
من علمه وهم :

- | | |
|-------------------------|-----------------------------------|
| ١ - ماسد بن خيثم | ٦ - عفيف |
| ٢ - عثمان بن يسار | ٧ - نافع بن عبد الحميد (عبد الله) |
| ٣ - طريف بن خليد | ٨ - سالم بن ذكوان |
| ٤ - فطريف بن عبد الرحمن | ٩ - طريف بن خليد |
| ٥ - الحارث بن عمرو | ١٠ - يزيد بن يسار |
| ١١ - عبد العزيز بن سعد | ١٦ - طريف بن خليد |
| ١٢ - مالك بن أسيد | ١٧ - مالك |
| ١٣ - سالم بن ذكوان | ١٨ - عبد الله بن الحارث |
| ١٤ - نعمان بن سلمة | ١٩ - |
| ١٥ - نعمان بن سلمة | ٢٠ - حبرة بنت ضمرة |

شروحات

صورة غلاف النسخة النهائية التي حررها النامي بخطه الجميل
ومن الغريب أن يذكر فيها أنها عشرون رسالة!

بسم الله الرحمن الرحيم

١ .

من جابر بن زيد إلى أشد^١ بنه فِيمَ ، سلام عليك ، فإن
أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو وأوصيك بتقوى الله
والحفظ لما آتفقتك الله ، وأداء الأمانة فيما آتفقتك الله عليه
أنك تعلم لله عالم تطلق سماء ولا أرض ولا جبل شفقة من
أن تصنع من ذلك شيئاً فيعذبك الله بما هو أشد علينا
واعلم أن الأمانة التي عرض عليها الله دينه وشرائعه
وخرائضه في السماع والبصائر والنفقة والأمانة والجوارح
والصلاة والزكاة والطهور والركوع والسجود والصلة والجار
وما سوى ذلك مما أمر به دينه عنه ، المؤمنين مستحفظين عليه
وأوليائه بعضهم من بعض الأخر تابع فيه الأول . مع علم وشهود
قد يستطون شيئاً ولا يسيرون ، فداكن ملبوس عليك ، ولا تمنع
لبعض من الدنيا ، ولا تقنق أمانة المظلمين ، واعلم أن أهل الدنيا
نزلوا من الله بأحد منزلتين في الدنيا وعلى ذلك يوم القيامة
إما كرامة لذكرامة بعدها أفضل منكم ، وإما هوان لدهوان بعده
أشد منه ، والمقبر من قصرت به نيته دون المؤمنين ، والهوان
المراتب المترتبة المقتون من خالف مغيبه مشهود ، ومن لم يبلغ
علمه منطلق لسانه ، فإذا أتاك كذب فادرك أمرك وأصبي ما
مات منه قبل ذلك ، فوالله والله ولعلنا في المألة ونتوجه
إليه بآدك على نفسه أن يبارك لنا ولك في الذي وهب لنا
من تبصيره وأن يعيننا على الذي لنا نطقه (الاول) [؟]
ولا نبغفه إلا لبواهبه .

(١) رسم في المخطوط هكذا : أشد بنه فِيمَ .

صورة الصفحة الأولى من النسخة النهائية بخط النامي

٣

من جابر بن زيد إلى ظريف بن خليل، سلام عليك

في أي أمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، وأوصيك بتقوى
الله العظيم ، والمطلب بغير حاجتك إلى الله ، فإن العباد لم يصيبوا
النجاة لما طلبوا من قبل الله بشئ التقوى ؛ بل يعطى الله الرزق
في الدنيا ، والمخرج من كربهما ، والمرفق من ضايقهما ، وليس
من عمرها ، وبالتقوى تصاب الراحة والروح عند الموت
ورضاء الله ورضوانه ويسره ، وتزول في الجنان ، والقربى
من الله ، وعند ذلك عرف المتقون غيب التقوى وعاقبتهم ،
ويصغر في أنفسهم الذي عملوا في التقوى لما رأوا من عظيم
تواضعهم ، وقد المحنون لو أنهم آذوا إلهنا مع أنهم بلغوا
بالذبح أخذوا به ما لا يدرون أن أمدا أتت مثل تواضعهم ،
وكل المتقين في كفاية يستغل قبل .

واعلم أنه لم يصب المتقون من [فيما بعد] الذي التقاهم
الله عند الموت من التكرمة بالتسليم والرحمة ، إلى الذي أصابوا
فلا بعد ذلك أفضل منه ، متى أصعبوا في ضايقهم ، ومتى
بصروا من ، في كل تلك المواطن استأنفوا من الكرامة ما لم
يكونوا يصيبوا قبل أفضل من ، فلم تنته بهم كرامة الله ثم نعمهم
في المزيد متى عود بهم العاهد قاعديه عند رجوعهم في معزة
الملك ملوكا مبرورين ، قد خلفنا ~~هنا~~ جملة الذي

(١) في كلامه الشريف ضريف ؛

(٢) ما يسهل قوسيه منزه في ، والده أئمة من ب ، والعباد غير لافرة لهم

من الإوان في مرتقه الذي أصابه عند مبعثه ، وينيه ذلك كله
 الذي سيجر إليه من نار الله الكبرى إن قذف به في النار أسيراً
 يذام إلى عنقه في الأعداء ، ورجله مرتوقتان إلى ناصيته ،
 عليه كوة يأكل بعضاً بعضاً على جلد لا يتألف الذي يصيبه من
 الحريق أن يحترقه ، فيكس جلداً غصاً^(١) رقيقاً مع مزيد في
 الذي ذكر الله وما لم يذكر ، وكفى بالذي ذكر شقاء وعذاباً ،
 غير أنه من دخل النار فقد شقي وخزي فزياً طويلاً لا انتفاع
 له ، فعهد العاهد بالمزولين قد أرتجت عليهم أبواب النار ،
 ملط عليهم ملائكة نزعت منهم الرمة وأعطوا القوة في
 غلظ وفظاظة^(٢) ، فليس في مثل الذي ذكر الله من الإوان لمن
 عقله وأيقن به وصدق به ما يرون في أنفس من يعقله ، وكذا
 لو تفعل الذي نصف من ذلك ، أو تذكر ، أو يبلغ نصف
 قلبي أو تصد به لم تلحق إلى شيء من الدنيا حتى تنظر
 إلى ما تصير به الأمور من ذلك ، وما تعلم ذلك إلا بالله
 الذي خلق اللق لجنة ونار ، ففتحت العباد إلى ما خلقوا له .
 فأن الله الرحمن الرحيم لجعله^(٣) وبقاؤه وبره ومنه ونوره
 وجماله أن يجعل عينا عنده العادة^(٤) .
أما بعد ،

فإننا صالحون إن اتقينا الله بحقه . وقد أناني كتابك
 تذكر فيه أنني من أهل ذلك وصنيعك ومناصحتك لما جعل
 الله بيننا وبينك من البرسيم ، فهو أفضل إنس وأفضل ما
 تواصل الناس به وتسبب^(٥) بهمهم بميله .

(١) في ب: غطا
 (٢) في ب: بجلا له
 (٣) في ب: العادة
 (٤) في ب: العادة
 (٥) في النسخة هكذا ، ولعله تسبب .

بين يدي الرسائل

جابر بن زيد الأزدي مؤسس المدرسة الإباضية (*)

بقلم: عمرو خليفة النامي

أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي الجَوْفِي، يعود نسبه إلى بني عمرو بن اليَحْمَد، أحد فروع قبيلة الأزد، وهو من قرية (فَزَق) الواقعة بين (منح) و(نزوى) في عُمان^(١) حيث من المحتمل أن يكون مسقط رأسه، ثم انتقل بعد ذلك مع أسرته ليستقروا في (درب الجوف) بالبصرة؛ المكان الذي أخذ اسمه

(٥) هذا التصدير فصلٌ من أطروحة دكتوراة باللغة الإنجليزية؛ قدمها النامي إلى جامعة كمبرج بالمملكة المتحدة، أثناء دراسته فيها فيما بين سنتي ١٩٦٧م و١٩٧١م، والأطروحة تحمل عنوان (دراسات في الإباضية) وقد استوفى فيها ما يتعلق بالإباضية فكرًا وتاريخًا وفقها وعقيدةً ومنهجًا. ونظرا لما احتواه هذا الفصل من حديثٍ عن حياة الإمام جابر ومنهجه الفكري والدعوي مع تحليلات مفيدة مُستخلصة من رسائله؛ ارتأيتُ أن أجعله تصديراً لتحقيق هذه الرسائل، خاصة أننا لم نجدْ مُقدِّمةً كتبها الدكتور النامي لعمله.

(١) ابن مداد، محمَّد بن عبد الله: صفة نسب العلماء وموتهم وبلدانهم (مخطوطة مصورة من مجموعتي) ص ٤. ويذكر ابن حبان أن جابراً وُلِدَ في مكان يُسمَّى الحُرَقَة، قريباً من عُمان، لكن يقرب أن يكون هذا تحريفاً لكلمة (فرق) ناشئاً عن خطأ في التهجئة. راجع: ابن حبان البُستي؛ كتاب مشاهير علماء الأمصار، بتحقيق: مانفريد فليشهايمر (القاهرة:

من المنطقة التي كانت قبيلة جابر تقطنها في عُمان^(١). وقد ذكر ياقوت موضعاً في عُمان كانت تسكنه الأزدي يُعرف بـ: جوف الحَمِيلَة^(٢).

ومن المحتمل أن تكون عائلة جابر قد قدمت البصرة مع الجيش الذي جهزه عثمان بن أبي العاص لقتال الفرس، وقد ضمَّ هذا الجيش عدداً كبيراً من الأزدي. ووفقاً للسالمي؛ فإنه بعد هزيمة الفرس ومقتل قائدهم شهرک أو ابن الحمراء توجه الجيش نحو فارس، وعسكر في نَوَّج، ثم تحرك إلى البصرة حينما كان عبد الله بن عامر عاملاً عليها للخليفة عثمان بن عفان^(٣).

وقيل إن الرجل الذي قتل قائد الفرس هو جابر بن حديد اليمحمدي^(٤)، وهو ينتمي إلى نفس قبيلة جابر بن زيد، ما يشير إلى أن أفراداً من هذه القبيلة كانوا ضمن ذلك الجيش، ثم استقروا في البصرة أثناء خلافة عثمان بن عفان. ويرى السالمي أن جابراً ولد في فرق بعُمان، ثم رحل إلى البصرة في طلب العلم^(٥)، لكن هذا الرأي يمكن أن يُعترض عليه بأن جابراً لو رحل إلى البصرة لَطَلَبَ العلم فقط لَكَانَ عاد إلى عُمان بعد ذلك ليجتمع بأسرته، والواقع أنه عاش في البصرة سائر حياته، ما يؤيد أن الرحلة كانت برفقة العائلة للاستقرار هنالك.

(١) البخاري؛ محمد بن إسماعيل: التاريخ الكبير (حيدر آباد ١٣٦١هـ). ١/٢ ص ٢٠٣، تعليق.

(٢) ياقوت الحموي: معجم البلدان (القاهرة ١٩٠٦) ج ٣، ص ١٧٥. ويذكر الأصمعي أن (الجوف) تقع في اليمن. وانظر: ابن قتيبة؛ عبد الله بن مُسْلِم: كتاب المعارف. تحقيق محمد الصاوي (القاهرة ١٩٣٤) ص ٢٠٠.

(٣) السالمي؛ عبد الله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان (الطبعة الثانية: القاهرة ١٣٤٧هـ) ص ٥٥ - ٥٧.

(٤) المصدر نفسه، ص ٥٦.

(٥) السالمي؛ عبد الله بن حميد: حاشية الجامع الصحيح (القاهرة ١٣٢٦هـ) ج ١، ص ٨.

وحول تاريخ ميلاد جابر تذكر المصادر التواريخ التالية: ١٨هـ (٦٣٦م)^(١)، و٢١هـ (٦٣٩م)^(٢). بينما تشير أخرى إلى أن جابرًا كان موجودًا بالمدينة في اليوم الذي بويع فيه الخليفة الأول أبو بكر^(٣). ولا تتوافر لدينا معلومات عن طفولة جابر أو حياته المبكرة، كما لا نعرف شيئًا عن والديه، لذلك، سوف نتابع هنا في هذه الدراسة مسيرة تعلمه وثقافته، متناولين إياها بشيء من البحث والتفصيل.

إننا نعلم الإسلام لم تكن قد تَشَكَّلَتْ بعدُ في ذلك العصر الذي عاش فيه جابر، فإلى جانب القراءة والكتابة؛ كان القرآن الكريم من أول ما يحرص المسلمون على حفظه عن ظهر قلب، ثم أحاديث رسول الله ﷺ، ثم المأثور من آراء الخلفاء الأوائل والصحابة البارزين.

أما المعلمون الذين يمكن تحصيل هذه المعارف الإسلامية منهم فهم صحابة رسول الله ﷺ، وقد كان جابر محظوظًا جدًا لمعاصرته عددًا كبيرًا من الصحابة الأفاضل، وروى عنه أنه لقي سبعين صحابيًّا ممن شهد غزوة بدر الكبرى، وحوى كل ما عندهم من الأحاديث والأخبار^(٤)، كما لقي أيضًا السيدة عائشة زوج رسول الله ﷺ، وسألها عن بعض ما يتعلق بحياة الرسول ﷺ.

(١) البرادي؛ أبو الفضل أبو القاسم بن إبراهيم: الجواهر المنتقاة في ما أخل به كتاب الطبقات (طبعة حجرية: القاهرة ١٣٠٢هـ) ص ١٥٥. والقطب؛ محمد بن يوسف اطفيش: شرح عقيدة التوحيد (طبعة حجرية: الجزائر ١٣٢٦هـ) ص ١٣٢.

(٢) الوارجلاني؛ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم: العدل والإنصاف في مسائل الفقه والاختلاف (مخطوطة من مجموعتي) ج ١، ص ١٩٧. والشمخي؛ أحمد بن سعيد: السير (طبعة حجرية: القاهرة ١٣٠١هـ) ص ٧٧.

(٣) مجهول: كتاب نوازل نفوسة (مخطوطة البارونية - جربة) ص ٢٠٨ ب. والمصعبي؛ أبو يعقوب يوسف بن محمد: حاشية على المصنّح (مخطوطة البارونية - كباو) ص ١٤٧ أ.

(٤) المصدر نفسه؛ ١٤٧ ب. ابن مداد؛ مرجع سابق. ص ٤.

الخاصة^(١). وناقشها في القضايا السياسية التي طرأت في المجتمع المسلم، وكان لها دورٌ رئيسٌ فيها^(٢).

والى جانب عبد الله بن عمر، وعائشة، وابن مسعود، وأنس بن مالك، كان المعلم الأكثر تأثيراً في جابر هو عبد الله بن عباس^(٣)، أغزر صغار الصحابة علماً، والمعروف بـ (خبر الأمة) وبـ (البحر) لسعة علمه بالقرآن وتفسيره وبالسنة النبوية الشريفة، وقد كان جابرُ الصديقَ المقربَ لابن عباس والتلميذَ الملازمَ له^(٤).

تلقَّى جابرُ أحاديثَ رسول الله ﷺ من جميع الصحابة الذين قابلهم في البصرة والمدينة ومكة، وكان يغتنم مناسبة الحج للقاء الصحابة الذين يقدمون مكة في ذلك الوقت من مختلف بلاد الإسلام لأداء فريضة الحج، حتى حُكي أنه سافرَ من البصرة إلى مكة ما لا يقل عن أربعين مرة للحج^(٥).

(١) عبد الله بن عبد العزيز: كتاب نكاح الشغار (مخطوطة البارونية - جربة. ومخطوطة دار الكتب - القاهرة) هذه المعلومة تجدها في مخطوطة أخرى ملحقة بهذا الكتاب تتضمن روايات إباضية تحت عنوان: باب فضائل جابر بن زيد، ص ٢٢. قارن: القطب؛ محمد بن يوسف اطفيش: شرح النيل (طبعة القاهرة - نسخة كاملة بحيازة علي معمر، نالوت - ليبيا) ج ١/ ص ٢٣٣ والفقرة في ص ٢٣٣ - ٢٣٤. ابن سلام بن عمرو بن ثَمَظْنين: بدء الإسلام وشرائع الدين (مخطوطة سالم بن يعقوب - جربة/ تونس)، ص ٤٢.

(٢) الشماخي؛ سير، ص ٦٧.

(٣) أبو نعيم؛ أحمد عبد الله الإصبهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (القاهرة ١٩٣٢م) ج ٣، ص ٩٠، الذهبي؛ محمد بن أحمد: تذكرة الحفاظ (حيدر آباد. د.ت) ج ١، ص ٦٢. ابن حجر؛ أحمد بن علي: تهذيب التهذيب (طبعة حيدر آباد: ١٣٢٥ - ١٣٢٧هـ) ج ٢، ص ٣٨ - ٣٩، ابن مداد، مرجع سابق، ص ٤.

(٤) أبو نعيم، حلية، ج ٣، ص ٨٥ - ٨٦، الذهبي، تذكرة، ج ١، ص ٦٢.

(٥) البغطوري؛ محمد بن مُقَرَّان: سير مشايخ نفوسة (مخطوطة البعطور - جربة/ مخطوطة سالم بن يعقوب - جربة) ص ٣.

الأمر الذي يدل على أنَّ نَهْمَهُ وشَغَفَهُ بتحصيل الأحاديث النبوية جعله يقطع المسافات الطوال، ويتحمَّلُ عناء الأسفار، لَجْمَعِهَا والإلمام بقدر كبير منها. ومن رحلاته في طلب العلم: رحلته إلى المدينة قاصداً بني عمرو بن حزم الأنصاري، يسألهم أن يُطْلِعُوهُ على الرسالة التي بعثها رسول الله ﷺ مع أبيهم عمرو بن حزم إلى أهل اليمن متضمنةً أنصبة الزكاة ومقاديرها، فأجابوه إلى ذلك^(١).

اكتسب جابر علماً واسعاً بالقرآن والحديث والفتيا، ولقد اعترف له ابن عباس بالعلم وشهد له بذلك، فقال في حقه: «لو نزل أهل البصرة عند قول جابر بن زيد لأَوْسَعَهُمْ عِلْماً عما في كتاب الله»^(٢). كما وَصَفَ جابراً أَنَّهُ مِنْ العلماء، وأنه يملك رسوخاً عالياً في العلم، بحيث لا يُحْتَاجُ عند وجوده إلى اللجوء إلى غيره في توضيح الأحكام الشرعية، حتى ابن عباس رضي الله عنه عن روي عن الربيع - وهو رجلٌ من البصرة - أنه قال: سألتُ ابن عباس رضي الله عنه عن شيء، فقال: «تسألونني وفيكم جابر بن زيد؟!»^(٣).

ويتفق كلٌّ من الصحابيَّين عبد الله بن عمر وجابر بن عبد الله الأنصاري مع ابن عباس في نظرته إلى جابر، فقد روى البخاري عن جابر بن زيد أنه قال: «لقيني ابن عمر في الطواف فقال: يا جابر إنك من فقهاء أهل البصرة، وإنك ستُسْتَفْتَى، فلا تفتين إلا بقرآن ناطق أو سنة ماضية، فإنك إن فعلتَ غير ذلك

(١) الوارجلاني؛ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم: كتاب الدليل لأهل العقول (B.M. Or. 6564)

ص ٣٨ أ. والعدل، مخطوط ج ١، ص ٧٢ من رواية ابن عبد البر.

(٢) ابن سعد؛ محمّد: الطبقات الكبير. بتحقيق: إدوارد ستشن (ليدن: ١٩٠٤ - ١٩٤٠م) ج ٧،

ص ١٧٩ - ١٨٠، البخاري، تاريخ، ١/٢ ص ٢٠٤، الذهبي؛ مرجع سابق، ج ١، ص ٦٢، أبو نعيم،

مرجع سابق، ج ٣، ص ٨٥، ابن حجر، مرجع سابق ٣٨/٢.

(٣) المصادر المذكورة في الهامش السابق.

فقد هلكت وأهلك»^(١). وروي أيضًا عن زيد بن جبير قال: سألت جابر بن عبد الله الأنصاري عن مسألة، فقال فيها، ثم قال: «كيف تسألوننا وفيكم أبو الشعثاء؟!»^(٢).

نرى مما سبق أنَّ جابرًا كان أحد رجال العلم البارزين في البصرة، بل أصبح مفتي البصرة فيما بعد^(٣)، وكان أعلم من الحسن البصري بشهادة محمد بن محبوب^(٤)، وبذل حياته كلها في إفتاء الناس، وتعليمهم أحاديث رسول الله ﷺ، ونقل معرفته الواسعة بتعاليم الإسلام إلى تلامذته وقاصديه، ونظرًا لكونه تابعيًا بارزًا فإنَّ أثره في المجتمع المسلم الناشئ يمكن أن يُفهم في سياق إدراك الدور الكبير الذي اضطلعت به طبقة التابعين، لقربهم من العهد الزاهر، وتلقِّيهم المباشر عن الصحابة، فكانوا خيرَ خلفٍ لهم، وقاموا بواجبهم في نقل تلك المعارف إلى الأجيال اللاحقة.

ويمكن القول إن جابرًا كان باستطاعته التمييز بين المواقف المتضاربة في الأحداث السياسية التي طرأت في المجتمع الإسلامي الناشئ، بداية من النزاع الأهلي أثناء خلافة عثمان، وانتهاءً بسيطرة معاوية على الحكم، وإنه كان قادرًا على تكوين فهم واضح لمجريات تلك الأحداث السياسية المعقَّدة؛ لأسباب منها:

(١) البخاري؛ مرجع سابق، ١/٢ ص ٢٠٤، أبو نعيم، حلية، ج ٣، ص ٨٦، ابن حزم؛ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد: ملخص إبطال الرأي والقياس والاستحسان والتقليد والتعليل. بتحقيق: سعيد الأفغاني (دمشق: ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م) ص ٦٩.

(٢) أبو نعيم، مرجع سابق، ج ٣، ص ٨٦.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج ٧، ص ١٣١، أبو نعيم، مرجع سابق، ج ٣، ص ٨٦. ابن حجر، تهذيب، ص ٣٨ - ٣٩.

(٤) السالمي؛ حاشية الجامع الصحيح، ج ١، ص ٧.

• كونه تلميذاً مقرباً ورفيقاً ملازماً لابن عباس، الذي شارك في معظم تلك الأحداث في فترة شبابه.

• سُكناه في البصرة، إحدى كُبريات مراكز الأحداث السياسية.

• معاصرته للأحداث الواقعة في تلك الحقبة المنتعشة (٢٨ - ٩٣هـ).

نتيجةً لذلك؛ اختار جابر لنفسه الطريق الأكثر فعالية لتحقيق هدفه، فحفظ نفسه بعيداً عن النشاطات السياسية، واتخذ مساراً حذراً جداً في علاقاته مع الحكّام الأمويين، ومن جانبٍ آخر، كرّس وقته لتعليم الناس أمور دينهم، وتوضيح الأحكام الشرعية في القضايا الدينية.

وفيما يتعلق بطريقة حياته؛ عاش جابر عيشةً زهدٍ وورعٍ وتقشّف، قال مرةً عن نفسه: «سألتُ ربي عن ثلاثٍ فأعطينهن: سألتُ زوجةً مؤمنةً، وراحلةً صالحةً، ورزقاً حلالاً كفافاً يوماً بيوم»^(١). وكان يخاطب أصحابه متحدثاً عن ثروته، فيقول: «ليس منكم رجلٌ أغنى مني، ليس عندي درهمٌ، ولا عليّ دينٌ!»^(٢).

ويحكي الحجاج بن عُيَيْنَةَ فيقول: «كان جابر بن زيد يأتينا في مصلانا، فأتانا ذات يوم وعليه نعلان خَلْقَان فقال: مضى من عمري ستون سنة، ونعلاي هاتان أحبُّ إليّ مما مضى، إلا يك خيراً قدمته»^(٣). ويقول محمد بن سيرين: «رحم الله جابراً، كان مُسْلِماً عند الدراهم»^(٤) يعني أنه كان ورعاً. من خلال هذه النصوص نجد أن البساطة والزهد والورع هي الصفات الرئيسة في حياة جابر.

(١) روايات إباضية (مخطوطة، ملحقة بكتاب نكاح الشغار) ص ٢١.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ابن سعد؛ الطبقات، ج ٧، ص ١٨٠، أبو نعيم؛ حلية، ج ٣، ص ٨٨.

(٤) ابن سعد؛ الطبقات، ج ٧، ص ١٨٧، أبو نعيم، حلية، ج ٣، ص ٨٨.

إن معرفة جابر الواسعة بتفسير القرآن والسُّنة الشريفة جعلت منه شخصية بارزة في هذا المجال من العِلْم، فروايته لأحاديث الرسول ﷺ مقبولة باتفاقٍ عند المحدثين، وقد نعتَه غيرُ واحدٍ من أهل الحديث بالثقة^(١)، باستثناء الأصيلي الذي عدَّه راويًا ضعيفًا، وتعقَّبه ابنُ حجر العسقلاني فردَّ قوله هذا^(٢).

وإلى جانب طلابه المنتظمين الذين يتلقَّون منه الأحاديث والفتاوى، اعتاد الناس أن يقصدوا مجالسه لطلب الحكم الشرعي في مسائل الدين، بل كانت ترد إليه الأسئلة من قبل أصحابه من خارج البصرة، وقد وُصِفَ جابر بأنه أعلم أهل عصره بالفتيا^(٣).

هذا، وقد كان كثير من تلامذة الإمام جابر يُدَوِّنون ما يسمعون من فتاواه ويقيّدونه، لكن جابرًا لم يكن يعجبه ذلك، وعندما سمع أن طلابه يدَوِّنون عنه ما يسمعون منه قال: «إنا لله! يكتبون ما عسى أن أرجع عنه غدًا!؟»^(٤).

ومع ذلك كله وصلنا قدرٌ كبيرٌ من آراء الإمام جابر ورواياته بواسطة تلامذته، ونُقلت تلك المعرفة إلى الأجيال اللاحقة من خلال طريقين:

• الأولى - وهي الأساس - : ما رواه تلامذته الإباضية، مثل: ضمام بن السائب، وأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وأبي نوح صالح الدهان، وحيّان الأعرج، وآخرين.

• الثانية: ما نقله تلامذته من غير الإباضية، ومن بينهم: عمرو بن دينار، وعمرو بن هَرَم، وقتادة بن دِعامَة السدوسي، وأيوب السختياني، وآخرون^(٥).

(١) ابن حجر، تهذيب، ج ٢، ص ٣٨.

(٢) المصدر نفسه ج ٢، ص ٣٩.

(٣) الذهبي؛ تذكرة، ج ١، ص ٦٢، أبو نعيم، حلية، ج ٣، ص ٨٦.

(٤) ابن سعد، الطبقات ج ٧، ص ١٧١، ابن حزم، ملخص، ص ٦٤.

(٥) أبو نعيم؛ حلية، ج ٣، ص ٩٠، الذهبي، تذكرة، ج ١، ص ٦٢.

ومما وصلنا من مدوناتٍ تضم فتاوى وروايات عن الإمام جابر:

(١) روايات ضُمام؛ نُقلت من طريق أبي صفرة عبد الملك بن صفرة، عن الربيع بن حبيب، عن ضُمام، عن جابر بن زيد^(١).

(٢) مسند الربيع بن حبيب؛ الذي يتضمّن في غالبه أحاديث رواها الربيع بن حبيب الفراهيدي، عن أبي عبيدة وضمّام، عن جابر بن زيد.

جوابات جابر؛ التي حوت بعض فتاواه؛ مبثوثة في رسائل إلى بعض أصحابه وأتباعه.

وجميع هذه الآثار منقول متداول عند الإباضية. وثمة آثار أخرى، نذكر منها:

(١) كتاب النكاح؛ الذي يحوي فتاوى عن الإمام جابر في النكاح.

وحتى الآن لم يظهر لي من روى هذا الكتاب عنه، غير أنّ وجوده ضمن مخطوطة كتاب نكاح الشغار لعبد الله بن عبد العزيز يوحى بأن راويه هو نفسه راوي كتاب نكاح الشغار^(٢).

(٢) كتاب الصلاة. روي من طريق حبيب بن أبي حبيب الحرمي^(٣)، عن عمرو بن هرم، عن جابر بن زيد^(٤).

(٣) روايات عمرو بن دينار، وعمرو بن هرم، ضُمنت القسمين الخامس والسادس من كتاب (أقوال قتادة)، وتحوي أحاديث وفتاوى أكثرها في

(١) راجع: مقالنا: وصف مخطوطات إباضية مكتشفة حديثاً بشمال إفريقيا (منشور بمجلة الدراسات السامية - مجلد ١٥ / العدد الأول: ١٩٧٠م) ص ٦٧.

(٢) راجع: مقالنا وصف مخطوطات إباضية مكتشفة حديثاً. مرجع سابق، ص ٦٥ - ٦٦.

(٣) لترجمة حبيب بن أبي حبيب، راجع ابن حجر، تهذيب، ج ٢، ص ١٨٠.

(٤) راجع: مقالنا (وصف مخطوطات إباضية مكتشفة حديثاً). مرجع سابق، ص ٦٧.

موضوعات النكاح والزكاة والصلاة، بجانب فتاوى أخرى للإمام جابر وأحاديث رواها قتادة عنه.

وفي بعض المصادر إشارة إلى أن كُتِبَ جابر كانت في حيازة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، ثم انتقلت إلى الربيع بن حبيب، ثم إلى أبي سفيان محبوب بن الرحيل، ثم إلى ابنه محمد بن محبوب، ثم أُخِذَ عنهم بمكة^(١).

ويذكر بعض المؤرخين الإباضيين أن جابرًا نفسه كتب كتابًا ضخمًا في الأحاديث والفتاوى عُرف بـ: (ديوان جابر بن زيد)، وأن نسخة من الديوان كانت موجودة في خزانة الخليفة العباسي هارون الرشيد (٧٨٦ - ٨٠٩ م). كما ترد الإشارة أيضًا إلى أن العالم الإباضي في جبل نفوسة: «نفاث (فرج) بن نصر» نجح في استنساخ الديوان وإحضاره إلى جبل نفوسة، لكن بسبب معارضته لحاكم الجبل والإمامة الرستمية آنذاك قام بإتلاف نسخة الديوان حتى لا يجد معارضوه سبيلاً للوصول إليها^(٢). ومع ذلك نجد أن الفقه الإباضي قد اعتمد غالبًا - في طور تأسيسه - على الأحاديث النبوية التي رواها الإمام جابر، ثم على الفتاوى التي أفتى بها ونقلها عنه تلامذته الإباضية. يقول الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة: «كلُّ صاحب حديث ليس له إمامٌ في الفقه فهو ضال، فلولا أن الله تعالى منَّ علينا بجابر بن زيد لضللنا»^(٣).

(١) الوسياني؛ أبو الربيع سليمان بن عبد السلام: السير (مخطوطة محفوظ الباروني - جربة) ص ١٢٠.

(٢) أبو زكريا؛ يحيى بن أبي بكر: السيرة وأخبار الأئمة (مخطوطة دار الكتب - القاهرة/ مصر) ص ٣١ - ٣٢، الدرجيني؛ أبو العباس أحمد بن سعيد: طبقات المشايخ (صورة من مخطوطة أرسلت إلي بواسطة الشيخ أبي اليقظان - القرارة/ ميزاب) ص ٨٢ - ٤٢.

(٣) أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة: مسائل أبي عبيدة (مخطوطة في حيازة الشيخ يوسف العطاوي - ميزاب) ص ٣٧، الجيطالي؛ أبو طاهر إسماعيل بن موسى: شرح القصيدة النونية (مخطوطة البارونية - جربة) ج ١، ص ٤٧.

أما عن علاقة جابر بن زيد بالإباضية فقد حاول بعض العلماء من غير الإباضية إثبات أن جابرًا لا صلة له بهم، واستشهدوا بروايات متعددة ظاهرها أن جابرًا نفسه نفى هذا النوع من العلاقة^(١). فقد روى قتادة وداود بن أبي هند عن عزرة أنه قال: «قلت لجابر بن زيد: إن الإباضية يزعمون أنك منهم، قال: أبرأ إلى الله منهم»^(٢). وذكروا أيضًا أن هندًا بنت المهلب قالت: «كان جابر بن زيد أشد الناس انقطاعًا إليّ وإلى أمي، فما أعلم شيئًا كان يقربني إلى الله إلا أمرني به، ولا شيئًا يباعدني عن الله **وَعَلَّكَ** إلا نهاني عنه، وما دعاني إلى الإباضية قط ولا أمرني بها»^(٣).

إنَّ الفحصَ الدقيق للروايات السابقة يقودنا إلى تصنيفها في ثلاث مجموعات:

١ - روايات عن جابر، فيها أنه نفى أي نوع من العلاقة مع الإباضية. وهذه نجدها مروية في المصادر غير الإباضية فقط، من طريق ثابت البناني وعزرة، وكلاهما يدعي أن جابرًا أحدث هذا الإنكار بينما كان على فراش الموت. وتجدر الإشارة إلى أن زيارة ثابت البناني للإمام جابر مع الحسن البصري مما تناقله الإباضية أيضًا في مصادرهم، والقصة عندهم تقول أن جابرًا لما حضرته الوفاة رغب في رؤية الحسن البصري، الذي كان في ذلك الوقت متخفيًا عن الحجاج، فانطلق ثابت البناني وأعلم الحسن برغبة جابر، فقدم كلاهما سرًا إلى بيت جابر، ولما دخلا عليه قال له الحسن: «يا أبا الشعثاء؛ قل لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله». فقال جابر: «يا أبا سعيد؛ **«يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا»** [الأنعام: ١٥٨]، ثم

(١) ابن سعد؛ طبقات، ج ٧، ص ١٨١ - ١٨٢، أبو نعيم؛ حلية، ج ٣، ص ٨٩.

(٢) ابن سعد، مرجع سابق، ج ٧، ص ١٨١.

(٣) أبو نعيم، مرجع سابق، ج ٣، ص ٨٩.

أضاف: «أنا من أهلها، ولكن نعوذ بالله من غدوٍّ أو رواحٍ إلى النار». فقال الحسنُ لَمَّا سمع ذلك: «هذا - والله - الفقيهُ العالمُ»^(١).

وعامة المصادر التي ذكرت القصة تتفق في روايتها إلى هذا الحدِّ، أمَّا ما ذُكر بعد ذلك مِن أنَّ الحسنَ سألَ جابرًا عن رأيه في أهل النهرِ ورأيه في الإباضية؛ فهو منقولٌ بواسطة ابن سعدٍ فقط من طريق عزرة وثابت البناني. وهذه الزيادة لا يمكن أن يُوثق بها لعدة أسباب:

(أ) أغلب المصادر - إباضية وغير إباضية - أوردت القصة دون الإشارة إلى أنَّ جابرًا تكلم عن موقفه تجاه الإباضية أو أهل النهر، والبغطوري - بعد أن ذكر محادثة جابر مع الحسن كما قدَّمنا ذكرها أعلاه - أكَّد أن جابرًا لم يزد كلمةً أخرى على ذلك.

(ب) إنَّ كان جابرٌ حقًّا يعتقد تلك الآراء - خاصَّةً فيما يتعلق بهذه القضايا المهمة - فإنَّ ذلك يستدعي بداهةً أن يكون هذا الرأي معروفًا عنه قبل وفاته بزمن معقول.

(ج) ذلك الوقتُ عادةً - أعني وقت الاحتضار - لا يبدو مناسبًا لسؤال جابر مثل تلك الأسئلة.

٢ - الصنف الثاني من الروايات يتضمن أقوالاً لعلماء من أهل السنة ينفون فيها أيَّ علاقة لجابر بالإباضية^(٢). وتبدو هذه الأقوال لأول وهلة مفتعلة، لتسويغ قبول رواية الإمام جابر، باعتباره بعيداً عن (الاتهام) بكونه إباضياً، إذ من المقرر عند أهل الجرح والتعديل أن كَوْن الرواي شيعياً أو خارجياً أو إباضياً يُعدُّ سبباً كافياً لتضعيف روايته^(٣).

(١) روايات إباضية؛ مخطوطة، ملحقة بكتاب نكاح الشغار، ص ٢٠، البغطوري، سير، مخطوط، ص ٤، الدرجيني، طبقات، ص ١٩٩.

(٢) ابن سعد؛ طبقات، ج ٧، ص ١٨١.

(٣) القاسمي؛ محمد جمال الدين: قواعد التحديث، ص ١٩٢ - ١٩٥.

٣ - الصنف الثالث من الروايات يدخل فيها الخبر المروي عن هند بنت المهلب أن جابرًا لم يدعها أبدًا إلى الإباضية^(١). وهذا مستساغ نوعًا ما، لأن جابرًا كان يعلمها الإسلام بتعاليمه الصافية الخالية من أي دعوة للمذهبية، أما المصطلحات المميّزة للانتماءات المذهبية مثل (الإباضيين) و(الإباضية) فلم تكن مستعملة بين الإباضيين المتقدمين حتى بعد وفاة جابر، إنما كانوا يستخدمون مصطلح (المسلمين) و(جماعة المسلمين).

وفي المقابل؛ ينقل ابن حجر العسقلاني عن الضعفاء للساجي أن جابر بن زيد كان إباضيًا^(٢). وتحدث أبو الحسن الأشعري في مقالاته عن معتقدات الخوارج، وحشّر الإباضية في زمريتهم، ثم قال: «ويدعون من السلف جابر بن زيد»^(٣). والرأي نفسه ذكره ابن أبي الحديد^(٤).

والسؤال هنا هو: هل كانت هناك حركة إباضية بهذا الاسم في عهد جابر؟ وما الدور الذي قام به جابر في هذه الحركة؟

للإجابة على هذه التساؤلات يلزمنا التذكير بحالة المجتمع المسلم حينذاك، إذ كان منقسمًا إلى مجموعات ثلاث:

(أ) الأمويون، الذين كانت السلطة بأيديهم، ومعهم مؤيدوهم.

(ب) الشيعة، أو جماعة علي بن أبي طالب.

(ج) المجموعة الثالثة يمكن تقسيمها إلى فريقين:

(١) أبو نعيم، حلية، ج ٣، ص ٩٨.

(٢) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٣٩.

(٣) الأشعري؛ علي بن إسماعيل: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين. بتحقيق: هيلموت ريتز (استمبول ١٩٢٩م) ج ١.

(٤) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٥، ص ٧٦.

١ - فريق اعتزل الحياة السياسية.

٢ - فريق رفض تأييد الأمويين والشيعة معاً، وهؤلاء فعلوا ذلك استبراءً لدينهم، وأرادوا حكم أنفسهم بأنفسهم. وأعني بهم: الناجين بعد موقعة النهروان، وبقية المُحَكِّمة الذين رفضوا قتال علي، لكنهم أصبحوا خصماً قوياً لحكم الأمويين.

ومن بين الشخصيات القيادية التي بقيت على قيد الحياة بعد معركة النهروان: أبو بلال بن حدير. وتقرر المصادر الإباضية أن أبا بلال كان صديقاً حميماً لجابر بن زيد^(١). ووفقاً لما يذكره بعض علماء الإباضية؛ كانت ثورة أبي بلال ضد الأمويين بموافقة جابر^(٢)، بينما يذكر آخرون أن الثورة كانت فكرة أبي بلال وهو الذي دعا جابراً للانضمام إليه^(٣). وبناءً على ما سبق؛ يمكن القول أن المحكمة - بعد وفاة إمامهم عبد الله بن وهب الراسبي - وجدوا في جابر الشخصية المؤهلة لقيادتهم، لأنه أزدي من نفس قبيلة عبد الله بن وهب، ولما يملكه من دراية واسعة بالقرآن والسنة.

وأرى أن جابراً في ذلك الوقت لم يكن أكثر من مرشد ديني لأتباعه الذين يقصدونه لينهلوا من علمه ويزدادوا تفقهاً في دينهم، أما قيادته السياسية لجبهة معارضة فلم يكن مقدراً لها أن تكون ذات جدوى وتأثير في تلك المرحلة المبكرة، بسبب أن تلك الفرقة لم يكن بإمكانها تنظيم نفسها في حركة دينية

(١) الشماخي، سير، ص ٦٧.

(٢) جميل بن خميس، قاموس الشريعة، مخطوط، مجلد ٨٨. القطب؛ محمد بن يوسف اطفيش؛ رسالة شافية في بعض التواريخ (طبعة حجرية: الجزائر ١٢٩٩هـ) ص ٤٣، الرقيشي؛ أحمد بن عبد الله؛ مصباح الظلام على الدعائم (القطعة الخامسة؛ تتضمن شرحاً على اللامية لابن النضر. مخطوطة دار الكتب/ القاهرة) ص ٣٨.

(٣) البغطوري؛ سير، مخطوط، ص ٣.

سياسية بارزة، ثم إن الأمويين لم يكونوا ليسمحوا لأي قيادة أن تظهر نفسها، لأنها ستكون في نظرهم طرفاً مناوئاً لهم يُنازعهم السلطة.

وثمة سبب آخر، هو تأثير مفهوم القيادة القرشية، حيث كان واضحاً أن المجتمع المسلم أغلبه ما كان ليرضى بأي قيادة على مستوى الخلافة إلا إذا كانت من قريش، ولعل هذا السبب هو الذي جعل القياديين البارزين لهذه الفرقة ينضمّون إلى عبد الله بن الزبير ويناصرونه ضد الأمويين على أمل أن يقبل آراءهم وتوجهاتهم. وكان من بين هؤلاء القادة عبد الله بن إباح^(١).

من جانب آخر؛ كانت ثورة نافع بن الأزرق - قائد الحركة الخارجية المتطرفة المنسوبة لاسمه (الأزارقة) - حدثاً جديداً غيّر اتجاه سير جماعة المحكمة، وطبيعة علاقة جابر بها. فقد كان جابر معارضاً بشدة لسياسة نافع وأتباعه، ورَفَضَ رأيهم القائل بتشريك مخالفين من المسلمين، واستحلال قتلهم وسلبهم وسبي نسائهم وأطفالهم.

وقد حفظت المصادر الإباضية مناظرة دارت بين جابر والخوارج، رواها عنه تلميذه ضمام، الذي يقول: «كان جابر يأتي الخوارج فيقول لهم: أليس قد حرّم الله دماء المسلمين بدين؟ فيقولون: نعم. فيقول: وحرّم الله البراءة منهم بدين؟ فيقولون: نعم. فيقول: أليس قد أحل الله دماء أهل الحرب بدين بعد تحريمها بدين؟ فيقولون: بلى. فيقول: وحرّم الله ولايتهم بدين بعد الأمر بها دين؟ فيقولون: نعم. فيقول: هل أحلّ الله ما بعد هذا بدين؟ فيسكتون»^(٢).

هنا يمكن القول أن انقساماً خطيراً بدأ في هذه المرحلة داخل جماعة المحكمة بسبب حركة نافع بن الأزرق، الذي حكم بتشريك خصومه من

(١) الطبري؛ تاريخ. ج ٥، ص ٥٦٣ فما بعدها.

(٢) أبو صفرة عبد الملك بن صفرة: روايات ضمام (مخطوطة البارونية - جربة) ص ٨.

المسلمين، وأوجب الخروج عليهم. إذ كان هذا مخالفا لسيرة جماعة المحكمة الأوائل وأهل النهروان ومن سار على هديهم من بَعْدُ كأبي بلالٍ وأصحابه. فكان لزاما على القادة البارزين لهذه الجماعة - مثل جابر بن زيد - أن يرفضوا سياسة نافع وأتباعه ممن سلك مسلكه، ويعلنوا ذلك واضحا أمام الملاء قاطبة من أجل كسب تعاطفهم.

وقد كان عبد الله بن إباح من بين القادة الذين اجتمعوا بجامع البصرة وعزموا على الخروج مع نافع والانضمام إليه، فلما جَنَّ الليل سمع عبدُ الله دَوْنِيَّ القراء ورنين المؤذنين وحنين المسبّحين، فغَيَّرَ رأيه وقَرَّرَ عدم الخروج^(١)، و«اعتقد شرعية العيش بين المسلمين ومخالطتهم»^(٢)، وأعلن انفصاله عن ابن الأزرق. ولا يبعد أن يكون موقفه هذا بإشارة من الإمام جابر بن زيد، غير أنا لا بد أن نعترف بالدور الناجح الذي قام به عبد الله بن إباح في هذه المرحلة، وهو ما أدى إلى أن تحمل الحركة كلها بعد ذلك اسمه، وتُعرف بين المسلمين الآخرين بـ (الإباضية)^(٣).

ثمة حوادث كثيرة، ووقائع متعددة، تؤكد أنَّ جابرا كان ذا علاقة وثيقة وفعّالة بالحركة الإباضية في مرحلة مبكرة جدًّا:

• فقد وَرَدَ أنَّ جابرا كان يذهب إلى موسم الحج بمكة في صحبة أحد أفراد «جماعة المسلمين» يسمّى أبا فُقّاس الأسود بن قيس، وقد اعتاد كلاهما أن يلاقيا ابن عباس، فلاقاه جابر مرة ولم يكن معه أبو فُقّاس، فسأله عن صاحبه، فأخبره أنه سُجِنَ مِن قِبَلِ ابن زياد، فسأل ابن عباس جابرا: وهل أبو فُقّاس مُتَّهِمٌ؟ أجاب جابر: نعم. ثم سأله ابن عباس: أو ما أنتَ متَّهِمٌ؟ قال جابر: اللهم بلى^(٤).

(١) الوارجلاني؛ الدليل، ص ٩٩ ب.

(٢) نيكولسون؛ التاريخ الأدبي للعرب (كمبريدج ١٩٦٢م) ص ٢١١.

(٣) الدرجيني؛ طبقات، ص ٢٢٣ - ٢٢٤، الشماخي؛ سير، ص ٩٦.

(٤) الدرجيني؛ طبقات، ص ٢٢٣ - ٢٢٤، الشماخي؛ سير، ص ٩٦.

• ويذكر الشماخي أن شيخاً كبيراً من جماعة المسلمين، يُسمّى أبا سفيان قنبراً أخذ وجُلِدَ مئة سوط على أن يدلّ على أحدٍ من المسلمين فلم يفعل. قال جابر بن زيد: وكنتُ قريباً منه، وما كنتُ أنتظر إلا أن يقول هذا هو، فعصمه الله^(١).

هـ الحادثة الأخرى التي تُظهر أن جابراً كان ذا صلة مؤثرة بالحركة الإباضية هي أمره لأحد شُبان الإباضية بقتل خردلة، وخردلة هذا كان من أهل الدعوة ثم خرج عنها وتركها، فجعل يطعن على المسلمين، وأفشى بعض أسمائهم مما أدّى إلى قتلهم على أيدي الطغاة^(٢). هذه القضية استُشهد بها فيما بعد - في مصنفات النخبة الإباضي - كدليل على وجوب قتل الطاعن في الدين.

وعلى أي حال؛ يظل جابر بن زيد الشخصية المميزة للفرقة التي عُرفت فيما بعد بـ (الإباضية) أو (أهل الدعوة) أو (جماعة المسلمين)، وظهر أثره فيها واضحا بعد ثورة نافع وغيره من الخوارج، وأصبح جابر رئيساً أو إماماً لهذه الحركة.

يمكننا الآن أن نتابع دراسة سياسة جابر باعتباره قائداً للحركة الإباضية. وفي هذه السياسة أربعة خطوطٍ رئيسةٍ يمكن تمييزها:

أولاً: تحاشي أيّ اصطدام مكشوفٍ مع الحكّام، والمحافظة على علاقةٍ ودّيّةٍ معهم.

ثانياً: عدم عزل أعضاء الحركة عن المجتمع المسلم.

ثالثاً: مواصلة تعليم الناس وتفقيهم، بغض النظر عما إذا كانوا من أعضاء الحركة أولاً.

(١) الشماخي؛ سير، ص ٩٣.

(٢) الجيطالي؛ أبو طاهر إسماعيل بن موسى: قواعد الإسلام (طبعة حجرية: القاهرة ١٢٩٧هـ. مع حاشية أبي ستة) ص ٢٨.

رابعًا: بما أنَّ جابرًا كان عازمًا على المحافظة على أمن الحركة بتنفيذ قسم من أنشطتها سرًّا، وبالإبقاء على أعضاء التنظيم غير معروفين من قبل الحكَّام؛ فقد اتخذ موقفًا حازمًا ضد أولئك الذين يكشفون أسماء الأعضاء للطغاة^(١).

والإباضية يُعدُّون جابرًا الإمام الأول لمدرستهم، ويعتبرون فترة قيادة جابر مثالاً على حالة الكتمان^(٢).

ليس بين أيدينا سوى القليل عن نشاطات جابر خلال ولاية زياد بن أبي سفيان وابنه عبيد الله بن زياد، على الرغم من أن الحركة في تلك الفترة واجهت القمع الشديد، وقُتِلَ أصدقاء مقربون لجابر كأبي بلال وأخيه عروة، وسُجِنَ آخرون مثل أبي فقاس وقنبر، وليست هنالك معلومات توضح أنَّ جابرًا تعرض لشيء من ذلك، بل تذكر المصادر الإباضية عنه قوله: «لَمْ نَجِدْ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ - يَعْنِي زَمَانَ عَبِيدِ اللَّهِ - أَشْيَاءَ أَنْفَعَ لَنَا مِنَ الرِّشَاءِ»^(٣). وهذا يصور لنا الحال التي كان عليها الإمام جابر وأتباعه من الخوف على أنفسهم، باستعمال الرشوة اتقاء لبطش الطغاة.

أما في عهد ولاية الحجاج، فقد حافظ جابر على علاقة جيدة معه بواسطة وزيره يزيد بن مسلم، الذي كان صديقًا حميمًا لجابر^(٤).

واستطاع جابر أن يقيم علاقة متينة مع آل المهلب، ذوي النفوذ الواسع، وكانت تربطهم بالإمام جابر علاقةٌ نسبٍ وقرابة، بل ما هو أكثر أهمية من

(١) كما فعل في قضية خردلة مثلاً.

(٢) عمرو بن جميع؛ عقيدة التوحيد، ص ٥٤، الجنائني؛ أبو زكريا يحيى بن الخير؛ عقيدة التوحيد (طبعة حجرية: الجزائر ١٣٢٥هـ) ص ٢٠.

(٣) أقوال قتادة، مخطوط، ص ١٨٩.

(٤) الشماخي، سير، ص ٧٤.

القراية، إذ كان جابر معلماً وموجهاً لبعض أفراد هذه العائلة، فقد كان يزورهم ويعلمهم أمور دينهم و«يأمرهم بما يقربهم إلى الله»^(١).

ومن بين مراسلات جابر الباقية؛ هناك ثلاث رسائل أرسلها جواباً على رسائل وردته من بعض أفراد عائلة المهالبة، اثنتان أرسلتا إلى عبد الملك بن المهلب، والأخرى إلى خيرة بنت ضمرة القشيرية، زوجة المهلب.

وفي مراسلاته الأخرى؛ نلاحظ أن له اتصالات متعددة بأناس ذوي مناصب رسمية في أماكن مختلفة، كالنعمان بن سلمة، الذي أرسل رسالة لجابر يسأله مشورته في جمع المقدار المطلوب من الجزية وخراج الأرض؛ دون الإساءة لأحد السكان، أو فعل ما يخالف تعاليم الإسلام. والرسالة المرسلّة من قبل جابر للنعمان في هذه القضية تتضمن معلومات قيّمة عن الأساليب المتبعة في جمع الضرائب، ويُرّيه كيف أن ثلاثمئة درهم لا يصل منها إلى بيت المال سوى مئة درهم، أما الباقي فيأخذه الدّهّاقين وجامعو الخراج^(٢).

ومن أصحاب جابر أيضاً: يزيد بن يسار؛ الذي أرسل رسالة لجابر يخبره أنه عُيّن مسؤولاً في إحدى الوظائف في عُمان، ويسأله رأيه في مسائل معينة^(٣). وممن كان يرسل جابراً من أهل عمان: مالك ابن أسيد أو أسيد؛ الذي أرسل رسالة لجابر يعرض عليه أن يشتري له ناقة من إبل عُمان، وقد وافق جابر، كما بيّن ذلك في جوابه إلى مالك بن أسيد^(٤).

(١) أبو نعيم؛ حلية، ج ٣، ص ٨٩.

(٢) جابر بن زيد: جوابات جابر بن زيد (نسختي المرقونة؛ المأخوذة من مخطوطة البارونية - جربة) ص ٣١.

(٣) المصدر نفسه. ص ٢٢.

(٤) المصدر نفسه. ص ٣٦.

والى جانب الفتاوى التي كان يجيب بها الإمام جابر أصحابه من جهات شتى؛ كان يطلب منهم أن يحيطوه علما بالأوضاع في بلدانهم، ويكتبوا له عن أي شيء يستجدّ فيها^(١).

هذه الاتصالات الواسعة مع الأشخاص والعائلات ذات النفوذ - زيادة على التوقير والاحترام الذي يحظى به جابر لدى العامة - جعلت الحجاج بن يوسف حذراً منه، وقد حاول أن يستميل جابراً إلى طرفه ويعرض عليه القضاء، لكن جابراً رفض هذا العرض^(٢).

والمصادر الإباضية تقرر أنّ جابراً - في مناسبات متعددة - أبدى معارضته للحجاج، فقد وَرَدَ أنه امتنع عن مناولة الحجاج قلمًا من يده، مستدلاً عليه بحديث الرسول ﷺ: «لعن الله الظالمين وأعوانهم وأعوان أعوانهم ولو بمدة قلم»^(٣). كما عارض الحجاج في مسألة المسح على الخُفَّين في الوضوء، وقال: «كيف أمسح على الخفين والله يخاطبنا بنفس العضو؟»^(٤).

وجابر نفسه كان محترساً حذراً في اتصالاته بأصدقائه وأتباعه، وهذا ما نلمسه في مراسلاته، حيث طَلَبَ في خمسٍ من رسائله أن تُتلف وتُمحى فلا يبقى لها أثر، وذكر السبب وراء ذلك في ثلاثٍ منها:

أ) في رسالته إلى الحارث بن عمرو، أحد أقدم أتباعه في الكوفة^(٥)، كَتَبَ قائلاً: «واعلم - أصلحك الله - أنك بأرضٍ أكره أن تذكر لي فيها اسمًا، فلا ترو

(١) المصدر نفسه. ص ٢٤.

(٢) الشماخي، سير، ص ٧٤.

(٣) الوارجلاني؛ الدليل، ص ١٠٨ أ.

(٤) ابن خلفون، أجوبة، (نسخة مخطوطة) ص ٣٩. وانظر أيضاً: الربيع بن حبيب: الجامع الصحيح (الطبعة الثالثة: القدس ١٣٨١هـ) ج ٤، ص ١٥ - ١٦.

(٥) ابن حبان؛ مشاهير علماء الأمصار، ص ١٠٥.

شيئاً مما كتبتُ به إليك»^(١). ولعل ذلك كان خلال ولاية زياد، لأن الحارث توفي أثناء خلافة يزيد بن معاوية.

ب) في رسالته إلى عبد الملك بن المهلب؛ كتب يخاطبه: «اكتب إليّ بما كانت لك من حاجة في سر وثقة، فإنك قد علمت الذي نحن فيه، وما نتخوف من الذي يطلب العلل علينا، فلا تعرض لذلك لأمرٍ تهلكنا به، أصلحك الله»^(٢).

في رسالة أخرى؛ وصف جابر شؤون الأمراء، فقال: «فإن أمر الأمراء ما قد علمت، ونحن لهم هائبون، يلتمسون علينا العلل»^(٣). كل هذه العبارات تُظهر أن جابراً كان دائم الخوف من الأمراء، حذراً في نشاطاته وتحركاته.

وفي إحدى رسائله إلى عبد الملك بن المهلب، يُعبّر عن شكره لله على نجاة عبد الملك وحمايته، ويحمد الله تعالى على بقاءه وعافيته، «حتى يريكم وإيانا في أمركم وأمرنا ما تقرّ به أعيننا ويكتب به عدونا»^(٤). ومن المرجح أن جابراً يُشير في عبارته الأخيرة إلى الحجاج الذي ثار على المهالبة وأمر باعتقالهم وحبسهم.

ولعل علاقة جابر بالمهالبة كانت سبباً وراء نفّي الحجاج له ولصاحبه هبيرة إلى عُمان^(٥)، حتى لا يكون مضدّ عونٍ لآل المهلب. وفي الفترة ذاتها اعتقل الحجاج ثلاثة من قواد الحركة الإباضية، هم: أبو عبدة، وضمام، وأبو سلمة، وأمرَ بسجنهم^(٦). وكان هذا أوّل إجراء قمعٍ خطيرٍ يواجهه قادة الحركة الإباضية - بما فيهم جابر نفسه - تحت حكم الحجاج.

(١) جابر بن زيد، جوابات، ص ١٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٣.

(٤) المصدر نفسه. ص ٣٧.

(٥) الشماخي؛ سير، ص ٨١.

(٦) المصدر نفسه؛ ص ٩٦، الدرجيني، طبقات، ص ٢٢٤.

ويبدو أنَّ السَّبَبَ الرئيس الذي جعل الحَجَّاجَ يغيِّر سياسته تجاه الإباضية هو اصطدامه مع المهالبة، ولعلَّ ما يمكن قوله هنا أنَّ العلاقة القوية بين جابر والمهالبة دفعت الحَجَّاجَ إلى الظن أنَّ جابرًا يُدَبِّر فعلا ضده لكي يساعد المهالبة، وإلا فليس هناك مبرر آخر يمكن أن يُستَوْحى لتفسير هذا التغيُّر في سياسة الحَجَّاجَ تجاه جابر والحركة الإباضية. ومع ذلك؛ استطاع المهلبيون الهروب من السجن، وفروا إلى سليمان بن عبد الملك في دمشق، فأجارهم^(١). ووفقًا لِمَنْ قال إن جابرًا توفي سنة ٩٣هـ فإنَّ من الممكن أن يكون رجوعه إلى البصرة بسبب الموقف الودود لسليمان والوليد ابني عبد الملك تجاه آل المهلب.

هذه هي الخطوط الرئيسة في سياسة جابر ونشاطاته العامة.

أما الدور الأكثر أهمية في حياة جابر فيتمثَّل في إسهامه في الفقه الإسلامي وفي تأسيسه المدرسة الإباضية الفقهية.

مِنَ المعلوم أنَّ مِن واجبات المسلم تَعَلُّمُ شيءٍ من القرآن الكريم وأحاديث رسول الله ﷺ، لكي يعي ما يلزمه من فروض وواجبات شرعية كالصلاة وغيرها، ولقد أدَّى تطور المجتمع المسلم وتوسُّعه السريع إلى قيام مراكز جديدة استقرت فيها أفواج من الصحابة، وقد كانت مدينة البصرة واحدة من أكبر تلك المراكز، أُسِّست في خلافة عمر بن الخطاب قاعدةً عسكرية، ثم ما لبثت أن أصبحت واحدة من العواصم الفكرية الثقافية في الإسلام.

في هذه المدينة نشأ جابر، وهناك لقي عددًا كبيرًا من الصحابة الذين كان همُّهم تعليم الناس أمور دينهم، وكانت ثمرة بذلهم وعطائهم ثمَّو طبقة جديدة في المجتمع المسلم تتكون من تلامذتهم الذين عُرفوا فيما بعد بـ: (التابعين).

(١) الطبري؛ تاريخ، ج ٦، ص ٤٤٨ - ٤٥٢.

لقد كانوا الجيل الثاني الذي ورث تعاليم الإسلام كما وصلته من الصحابة، وأصبحوا المبشرين بالدين، وعلموا الناس القرآن الكريم، وأحاديث الرسول العظيم ﷺ، وكانوا القدوة الحسنة والمثل الحق للمسلمين في واقع حياتهم.

وكان جابر بن زيد من بين التابعين الأوائل الذين وهبوا أنفسهم لهذه المهمة، وقد ذكرنا سابقاً أنه أصبح واحداً من كبار العلماء بالبصرة، وكان ذلك مؤهلاً له ليكون مفتي البصرة فيما بعد. أما قول إياس بن معاوية: «لقد رأيتُ البصرة يوماً بها مفتٍ غير جابر بن زيد»^(١)؛ فربما كان هذا لفترة محدودة، نظراً إلى أن مصادر أخرى تذكر علماء آخرين اشتركوا مع جابر في حمل عبء الفتوى بالبصرة، من بينهم: الحسن البصري، وعمرو بن سلمة الحرمي، وأبو مريم الحنفي، وكعب بن سؤد^(٢). أما عمرو بن دينار فقد بلغ تقديره العالي لشيخه جابر أن قال فيه: «ما رأيتُ أحداً أعلم بالفتيا من جابر بن زيد»^(٣).

إن دراسة موجزة للمنهج الذي اتبعه جابر في الإفتاء سوف يساعد على فهم طبيعة الفقه الإباضي، وكوّن الإمام محدثاً مع إمامه الواسع بفتاوى الصحابة يُحدّد النقاط الرئيسة في منهجه الفقهي، فهو يعتبر أن أي فتوى يجب أن تبنى على القرآن الكريم، ثم السنة النبوية، ثم فتاوى الصحابة، ويأتي بعد ذلك رأيه الخاص.

ونرى - كما هو واضح - أن السنة هي المصدر الثاني للفتوى بعد القرآن الكريم، ويبيّن جابر ذلك فيقول: «وما كان من أمرٍ خولف فيه السنة نُقِض»^(٤)،

(١) ابن سعد؛ طبقات، ج ٧، ص ١٣١، ابن سلام؛ بدء الإسلام، ص ٤٢.

(٢) ابن القيم؛ أعلام الموقعين عن رب العالمين (القاهرة د.ت) ص ٩.

(٣) الذهبي؛ تذكرة، ج ١، ص ٦٢.

(٤) جابر بن زيد؛ جوابات، ص ١٩.

ويقول في موضع آخر: «لا يستقيم للناس أمرٌ يخالفون فيه السنة»^(١). وجابرٌ باتباعه هذا المنهج يلتزم بالقاعدة التي وضعها الصحابة الكرام، فشيخه عبد الله بن عمر حذره من أن يُفتي إلا بقرآنٍ أو سنةٍ ماضية^(٢)، ورُوي عن جابر أيضًا أنه قال: «أدركتُ ناسًا من الصحابة أكثر فتياهم حديث النبي ﷺ»^(٣).

ويأتي الرأي في المرتبة الثالثة بعد القرآن والسنة، وحول هذا المصدر يرى جابر أن رأيه الخاص ينبغي أن يأتي بعد رأي الصحابة لا قبله، فقد كتب: «ورأي من قبلنا أفضل من رأينا الذي نرى، لم يزل الآخر يُعرف للأول. وكانوا أحقّ بذلك؛ المهاجرين مع رسول الله ﷺ، والتابعين لهم بإحسان، فقد شهدوا وعلموا. فالحق علينا وطء أقدامهم واتباع أثرهم»^(٤).

وقال أيضًا: «فلعمري ما أنا إلا متعلمٌ متبعٌ آثارٍ قد وطئت قبلي، وما عندي من ذلك ثقة ولا دلالة إلا رواية عسى أن نختلف فيها»^(٥). وفي رسالته إلى عَنيفة؛ يعبر عن نفس المبدأ بقوله: «ليس من ذلك شيء، إلا ما يروي الناس عن الناس، وأما من رأي عندنا فنحن في ذلك أنقص رأيًا»^(٦).

وثمة قضية نازلة وردت في مراسلاته تبين إلى أي مدى كان يتمسك بهذا المبدأ؛ إنها قضية المرأة إذ طلقها زوجها في مرض الموت، فابن عباس يقول إن عليها الترتُّب حتى يذهب ضررُ زوجها، لكي تحفظ حقها من الصداق والميراث، أما إن تزوجت زوجًا آخر قبل ذلك فإنها تفقد حقها، بينما يرى جابرًا يعلق على رأي ابن عباس هذا فيقول: «ولولا قول ابن عباس في ذلك

(١) المصدر نفسه. ص ١٤.

(٢) البخاري؛ تاريخ ١/٢ ص ٢٠٤.

(٣) الربيع بن حبيب؛ المسند، ج ١، ص ١٣ - ١٤.

(٤) جابر بن زيد، جوابات، ص ٤٢.

(٥) المصدر نفسه، ص ٣٨.

(٦) المصدر نفسه، ص ١٨.

لَسَرَّنِي - وإن تزوجت - إذا عُرِفَ الضرر أن تستوجب الأمر كله ما لم يذهب ميراثها»^(١). ومع ذلك نَزَلَ جابر عند رأي ابن عباس، وأخّر رأيه هو، وفاءً بالمبدأ المذكور سابقاً، على الرغم من أنه كان يرى أنه رأيه في هذه القضية بالذات هو الأرجح.

ولذا يمكن القول إن المصادر التي يَسْتَمَدُّ منها الفقه الإباضي هي: القرآن، والسنة، والرأي، لكن الرأي يُعمل به فقط عند عدم وجود الأثر. وفي ختام هذه الدراسة الموجزة يمكننا أن نقرّر أن المدرسة الفقهية التي أرسى دعائمها الإمام جابر بن زيد، قد تأثرت إلى حدٍّ بعيد بالحديث. وبقي هذا المنهج متبّعاً عند تلامذة جابر الإباضيين بعد وفاته، فقد بنوا فقههم في الغالب على الأثر، ويروى أن أبا عبيدة مسلم بن أبي كريمة - خليفة جابر - بلغه أن أهل عمان يُفتون بالرأي، فقال: «ما نجوا من الفروج والدماء!»^(٢).

نذكر في خاتمة هذا الفصل أن كُتَّاب السِّير الذين ترجموا للإمام جابر قدّموا خمسة تواريخ مختلفة لوفاته؛ أمّا أولئك الذين يرون أن جابراً توفي في الأسبوع نفسه الذي توفي فيه الصحابي أنس بن مالك فقد ذكروا تاريخين:

• الأول: سنة ٩١هـ/٧٠٩م كما ذكر ابن حبان^(٣).

• الثاني: سنة ٩٣هـ/٧١١م كما أورده كلٌّ من: الربيع بن حبيب والبخاري وأحمد بن حنبل والفلاس والنجّار وأبي نعيم والسالمي وابن حبان^(٤). وهؤلاء جميعاً محدثون، وهم لا شك أكثر عنايةً بوفيات الرواة، وأكثر حرصاً

(١) المصدر نفسه، ص ٤٢.

(٢) أبو المؤثر الصلت بن خميس: سيرة (قسم من مخطوطة متعددة المحتويات، من عُمان) ص ٢٠.

(٣) ابن حبان؛ مشاهير علماء الأمصار، ص ٣٧.

(٤) المصدر نفسه، ص ٨٩، الربيع بن حبيب؛ المسند، ج ٢، ص ١٠٣. البخاري؛ تاريخ، ج ١/٢

ص ٢٠٤. ابن حجر؛ تهذيب، ج ٢، ص ٣٨ - ٣٩. الذهبي؛ تذكرة، ج ١، ص ٦٣.

على ضبطها، لِمَا لَهَا مِنْ قِيَمَةٍ كَبِيرَةٍ عِنْدَهُمْ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِصَحَّةِ السَّنَدِ وَاتِّصَالِ سُلْسَلَةِ الرِّوَاةِ.

• ونجد المؤرخين مثل ابن سَلَامٍ وابن سَعْدٍ والواقدي والمسعودي والأصمعي وابن مَدَّادٍ يذكرون أنه توفي سنة ١٠٣هـ/٧٢١م^(١).

• بينما يتفرد الشماخي وحده بذكر سنة ٩٦هـ/٧١٤م^(٢).

• وينقل ابن حجر عن ابن عدي أنَّ جابراً توفي سنة ١٠٤هـ/٧٢٢م .

ولكي نستطيع الوصول إلى تاريخ دقيقٍ لوفاة جابر يجب أن نأخذَ الحقائق التالية في الاعتبار:

(أ) تُقرر مصادر كثيرة أن جابراً - في ليلة وفاته - رغب في رؤية الحسن البصري، الذي كان في ذلك الوقت متخفياً عن الحجاج. وعليه؛ لا بد أن وفاة جابر وقعت قبل وفاة الحجاج سنة ٩٥هـ/٧١٣م.

(ب) مصادر كثيرة تقرر أن جابراً توفي قبل وفاة الصحابي أنس بن مالك؛ الذي قال عندما بلغه نبأ وفاة جابر: «مات أعلم الناس بالله، يرحم الله جابر بن زيد»^(٤). أما التواريخ المذكورة لوفاة أنس فهي: سنة ٩١هـ وسنة ٩٣هـ.

(ج) كان للإباضية اتصالٌ فعّالٌ بعمر بن عبد العزيز أثناء خلافته (٩٩ - ١٠١هـ)، وقد تمثل ذلك في الوفد الذي أرسلوه إليه، وانفردت المصادر

(١) ابن سعد؛ طبقات، ج ٧، ص ١٣٣، ابن سَلَامٍ؛ بدء الإسلام، ص ٤٢. المسعودي؛ علي بن الحسين؛ مروج الذهب (القاهرة: ١٢٨٣/١٨٦٧م) ج ٢، ص ١٤١. الذهبي؛ تذكرة، ج ١، ص ٦٣، ابن قتيبة؛ كتاب المعارف، ص ٢٠٠.

(٢) الشماخي؛ سير، ص ٧٧.

(٣) ابن حجر، تهذيب، ج ٢، ص ٣٩.

(٤) روايات إباضية؛ مخطوطة، ص ٢٠، الشماخي، سير، ص ٧٠.

الإباضية بذكر تعليق الإمام أبي عبيدة على نتائج تلك السفارة، بينما لا تشير إلى أي تعليق للإمام جابر حول هذه الحادثة، ومن الصعب أن نصدق أن جابرًا لم يدل برأيه في ذلك على تقدير كونه حيًا، وهذه حقيقة توحى أنه توفي قبل سنة ١٠١هـ/٧١٩م، وليس في سنة ١٠٣هـ كما يرى المؤرخون، أو سنة ١٠٤هـ كما نُقِل عن ابن عدي.

وعلى الرغم من صعوبة الجزم بتاريخ محدّد في حالة مثل هذه؛ تظل سنة ٩٣هـ - التي ذكرها المحدثون، وأكدها المصادر الإباضية - هي التاريخ الذي يُمكن اعتباره في نظري أقرب إلى الحقيقة.

* * *

رسائل الإمام
جابر بن زيد اللّٰزوي

الرسالة الأولى

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من جابر بن زيد إلى راشد^(١) بن خيثم

سلامٌ عليك.

فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. وأوصيك بتقوى الله، والحفظ لِمَا استَحَفَّظَكَ اللهُ، وأداء الأمانة فيما ائتمنك الله عليه، إنك تَحْمِلُ اللهُ ما لم تُطِقْ سماءً ولا أرض ولا جبل؛ شفقةً من أن تُضَيِّعَ من ذلك شيئاً، فيعذبها الله بما هو أشد خلقاً.

واعلم أن الأمانة التي عَرَضَ عَلَيْهَا اللهُ: دينه وشرائعه وفرائضه في الأسماع والأبصار والأفئدة والألسنة والجوارح، والصلاة والزكاة والطهور والركوع والسجود والصلة والجوار، وما سوى ذلك مما أَمَرَ به ونَهَى عنه المؤمنين، مُسْتَحَفَّظِينَ عَلَيْهِ، وَأُورِثَهُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، الْآخِرُ تَابِعٌ فِيهِ الْأَوَّلُ. مع علم وشهودٍ لا يُسْقَطُونَ شيئاً ولا ينسونه.

فلا تكن ملبوساً عليك، ولا تُخَدِّعْ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا، ولا تَتَمَنَّ أُمِّيَّةَ الْمُفْرَطِينَ، واعلم أن أهل الدنيا نزلوا من الله بإحدى منزلتين في الدنيا، وعلى

(١) رسمه في المخطوطة هكذا: راشد. فلعله: ناشد.

ذلك يوم القيامة، إما كرامة لا كرامة بعدها أفضل منها، وإما هوان لا هوان بعده أشد منه. والمقبوح مَنْ قصرت به نيَّته دُون المؤمنين، والهالكُ المرتاب المتربص المفتون من خالف مغيَّبه مشهده، وَمَنْ لم يبلغ علمه منطق لسانه.

فإذا أتاك كتابي هذا فأذكرْكَ أمرك، وأخي ما مات منه قبل ذلك، فنسأل الله ونُلجِفُ إليه في المسألة ونتوجه إليه بما دل على نفسه أن يبارك لنا ولك في الذي وهب لنا من تبصيره، وأن يعيننا على الذي لا نطيقه (الادا) [؟] ولا نبلغه إلا بمواهبه.

أما بعد؛ فإننا نخبرك مِنْ خبرنا أنا بخير من الله، فضله^(١) عظيم، ونعمته سابعة، وعادته إلينا حسنة في الذي سلف، لا نعيب عليه شيئاً من أمرنا، العيب علينا لا على ربنا. ربّ محمود. وقد أتاني كتابك تذكر فيه دفاع الله عنك، وعافيته إياك في الذي ابتلاك، فنحمد الله على ذلك، ونسأله لنا ولكم التمام.

• أما الذي ذكرت تسألني عنه من رجل تقبل بنهر يكره بمئة درهم أو زيادة، وأكرت طائفة وعجزت عنه طائفة، ثم فَرَّ حين خاف أن يعجز عليه، واستأجر صاحب النهر قوماً^(٢) [.....] والذي^(٣) [.....] بدراهم ضخمة، حتّى إذا بلغ الأوّل الفراغ من التهر قدم فقال: إثمّا انطلقت إلى أهلي ألتمس أواناً فسبقتموني بأمركم. فإن له بقدر ما عمل، ولا يصلح ظلمهم.

• وأما الذي ذكرت من رجل استأجر رجلاً بخمسين جريباً، فقال صاحب النخل: إنني أستأجركَ بفُومٍ أو بُرٍّ أو ما سوى ذلك من [الثمر على أن أعطيك

(١) في المخطوطة: فظله.

(٢) بعد هذا في (ب) بياض يتسع لثلاث كلمات. وفي (أ) تبدأ الورقة الأولى في الرسائل بكلمة: «والذي» ثم بعدها بياض مماثل للذي في (ب)، يتسع لكلمتين، تستأنف بعده المخطوطتان بنفس الكلام.

(٣) هنا تبدأ المخطوطة (أ).

من ثمرة أرضي خمسين جريباً أو ما سوى ذلك من^(١) العدد. وزعمت أنه قطع أن الثمرة هلكت؛ فإن ذلك لا يُذهب أجره، وإن اشترط من ثمرها يُعطى أجره وإن لم تخرج الثمرة التي شرط له منها.

• وأمّا الذي ذكرت من رجل استأجر رجلاً أن يقوم على أرضه ونخله بثمرة عشر نخلات أو عشرين نخلة، أو [ما]^(٢) شاء الله من عددهنّ، وتزعم أنه أعلم له النخلات التي استأجره عليهنّ^(٣)، فإن ذلك ممّا لا يعجبني، إلّا بشرط مكيّلة محارمة وعدّة.

• وأما^(٤) الذي ذكرت من رجل اشترى من رجل نخلة فاستوجبها، ثمّ زعمت أن الذي باع النخل قال: إنّما بعثك النخل ولم أبعك الأرض، فكذب، ليس له ذلك، إنّ النخل لا يصلح إلّا بالأرض، فله ما جرى^(٥) فيه عروق النخل.

• وأمّا الذي ذكرت من رجل اشترى من رجل أرضاً لا يرى إلّا أنّها له، ثمّ عمرها، فجاء ربّ الأرض فقال: أرضي لم أبعها ولم أهبها. فأخبرك أنّ هاشمًا قضى في مثل ذلك أن تُقوّم الأرض، فما زادت على ثمنها الأوّل أخذ من بائعها^(٦) الأوّل الذي باعها، وقضى للذي اشتراها على ربّ الأرض ما أنفق فيها وأجر عمالة ما عمل فيها، ولا أراه إلّا نِعَمَ ما قضى.

• وأمّا ما ذكرت من رجل يحرك دَكره حتّى يهرق؛ فإنّ ابن عباس كان يقول: ذلك نائك نفسه.

(١) ما بين المعقوفتين ناقص من (ب).

(٢) هذا الحرف مأروض من (أ).

(٣) الحرفان الأخيران لا يظهران في (أ).

(٤) هذه الفقرة تجيء في (ب) بعد الفقرة التالية.

(٥) في المخطوط: جراً.

(٦) في (أ): بيعها. والتصحيح من (ب).

• وأما ما ذكرت من ولائد سبي عُمان هل يصلح اتّخاذهنّ؟ فلا يحلّ لمسلم أن يشتري منهنّ شيئاً يطؤه.

• وأما الذي ذكرت من رجل يؤخذ بمال وليّه فيبيع خدمه إن قدر له على خدم، فما باع في أمر حقّ يؤخذ به عن ماله فلا بأس، وإن باع ماله بعضه على بعض ومن مال الرجل أحقّ أن يؤخذ ما عليه، وأما أن يؤخذ بظلم^(١) فإنّ ماله لا يصلح لرجل مسلم أن يشتري مالا يغصبه صاحبه. ولوليه إن شاء أن يقول: هذا مال الذي يأخذونني [؟] فأنتم أعلم. فهذا لا بأس به. مع أنه يعسبني أن لا يشتري أحد منه شيئاً.

انظر - أمتّع الله بك وأصلحك - ألا ترفع كتابي إلى أحد؛ فإني لولا [ما]^(٢) أعرف من بليّتك التي كنتم [فيه]^(٣) لم أرجع عليكم شيئاً، ولقد كنت أردت ذلك ثم كرهت اعم [؟]، فلا يأتيني من قبلكم أمر تعييني فيه أتحمّل عليه فيه أحد^(٤)، واكتب إليّ بحاجتك مع ثقتك.

والسلام عليك ورحمة الله.

* * *

(١) في (أ): بظلم.

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) لعلها: فيها.

(٤) هكذا في الأصل، والعبارة غير واضحة المعنى.

الرسالة الثانية



باسم الرحمن الرحيم

من جابر بن زيد إلى عثمان بن يسار

سلامٌ عليك.

فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، وأوصيك بتقوى الله [الذي]^(١) أذعنت له الملائكة، وبه قويت للذي قصد إليها منه. فاتق الله، واعلم [أنّ التقوى]^(٢) عليها تعرض الأعمال، وهي غاية الرشد، ولها انتصر بالمثلثات^(٣) لمن ضيع ذلك منه. واعلم أنّ نسبة الناس منه دينهم معروضون على الأسباب التي نسب المتقون من التّخشع والصّيام والصّلاة والتّحرج والصّلة والقنوت والصّبر عند عزائم الأمور من زواجر النّهي، وهم يوم القيامة أهل تألف^(٤) في الجّة، متآلفين بنسبهم في الذي بلغوا به الله.

(١) ما بين معقوفتين مأروض في (أ).

(٢) ما بين معقوفتين مأروض في (أ).

(٣) (بالممثلات) هكذا في كلا النسختين؛ ولعل الصواب: المثلّات. وهي عقوبته لمن خلا من أمم الضلال.

(٤) في النسختين: تأليف.

فإن استطعت ألا تنخدع بالأمانِي، ولا تشتغل بالَّذي لا يغني فتيلاً ففعل^(١).
واعلم أنك ممّن استخلص الله في عظيم الحجّة، ولا تكوننّ مثبُولاً^(٢) متّعوساً
ناكصاً على عقبه، وتعرّض لنائل الله بما تبلغ به مواعده، فإنّ الخلف لا يؤتى
من قبل الله، ولكن العنف ضيم على أهله.

فنسأل الله الّذي حمد نفسه بما علم من عظمته، وأثنى على نفسه بمكارمه،
واستخلص لنفسه من الثناء على نفسه ما كره لخلقه؛ أن يغفر لنا ولك الّذي قد
سلف ممّا أسخطناه فيه، وما سبق في علمه في الّذي نحن مصيبوه ممّا لا بدّ
من مسيرته، حتّى يحمل لنا مغفرة الذنوب قبل اللّزام والتّناوش. ونسأل الله
الّذي لا إله إلا هو بأسمائه الجميلة الحسنی ذكرها أن يبارك لنا في الّذي وكلنا
به من أمر دينه.

أمّا بعد؛ فإنّا نخبرك من خبرنا أنّا سالمون صالحون، إن سلمنا وصلحنا من
الذنوب، ورزق فاضل علينا، ونعمة متظاهرة، ومن (يشفق) [؟] كذلك. وقد
أتاني كتابك تذكر فيه ما نحمد الله ونسأله تمامه وكماله، في الّذي يوافق فيه
ما أتاك من شكر أنعمه.

• فأما الّذي كتبت تسألني عنه من المملوك هل يصلي ولم يختن؟ فإنّ
الختان من المسلمين سنّة واجبة لا ينبغي تركها. ونكره أن تتركوا لكم مملوكاً
غير مختون، ولا يصلي حتّى يختن.

• وأما الّذي ذكرت من شأن الوليدة؛ فإنّ النّساء إنّما كان خفاضهنّ تكرّماً،
ولسن في ذلك مثل الرّجال، إنّما عليهنّ حلق العانة والظّهر^(٤).

(١) في (ب): فافعل.

(٢) في النسختين: مثبولا.

(٣) في (أ): من ما.

(٤) في (أ): والظهر. وعليها أثر تصحيح، فصارت: والظّهر. وفي (ب): الطّهر.

• وأما الذي ذكرت من رجل غرّ بوليدة مجنونة أو شبه ذلك من الداء، فجامعها مولاها الحدث لا يشعر بشيء من ذلك، فأحب ذلك إليّ أن يصطلحاً على صلح لما أصاب من بضعها، فإن كره ذلك مواليها فإنها تجب على الأحدث بالقيمة تقوم وقد علم داءها، فما بلغت بالذي ذكر من دائها فإنها تكون له بذلك، وأما أن يردّها الرجل بمثل الذي أخذها وقد أصاب منها فإن ذلك ربا محض.

• وأما الذي ذكرت من رجل غرّ بوليدة، أخبروه أنها حرّة، حتّى إذا ولدت أولادا أخبروه^(١) بعد ذلك أنهم غرّوه؛ فإنّ أولاده أحرار ولا صداق لها، ولا نعمت عين، تخلع من قليل وكثير أعطاها.

• وأما ما ذكرت من رجل قال لامرأته: إني زنت مرّة. ثمّ قال لها بعد ذلك: إني لعبت معك وعرضت التماس غيظك. فإنّ ذلك ليس بشيء، هو ذكره وهو كافر به، وإنّما يكره للمرأة إذا عاينت زوجها بالزنى.

• وأما الذي ذكرت^(٢) من رجل كان يُقْدَفُ بالزنى، ثمّ تعاتبه، ثمّ يصدّق عليه بالقذف، قلت: إذا قُذِفَ هل يصلح لامرأة أن تتزوّجه؟ فإنّ ذلك لا بأس به، إنّما يكره أن تتزوّج المرأة من [أقيم]^(٣) عليه حدّ الزنى.

• وأما ما ذكرت من رجل أخذ نخلاً في أرض أخرى بنخل، أو أرضاً بأرض، أو داراً بدار، أو طعاماً بطعام، أو خادماً بخادم؛ فإنّ ذلك لا بأس به، ما لم يطلب فيه الفضل ولم يُزبِ أهله أمرهم في ذلك، فإنّ الناس كانوا يفعلون ذلك، يأخذون أرضاً بالكوفة، ويعطون مكانها أرضاً بالمدينة، وأهل الطائف ومكة وما حولها من القرى يطلبون بذلك مرافقهم، ووطنهم أحبّ ما ملكوا فيه الأموال.

(١) في (أ): أخبره. والتصويب من (ب).

(٢) في (ب): ما ذكرت. وهما بمعنى.

(٣) هنا خرم في (أ)، والاستدراك من (ب).

• وأما ما ذكرت من رجل تزوّج ضارّة أمّه، أو يطأ من الولائد ما وطئ والدّه زوج أمّه؛ فذلك كله مكروه، ولعمري لو أنّه لم يكرهه أهل العلم إلّا الدّانات [؟] كرهوه فلاّنه لا يزاحم من زاحم والده زوج أمّه.

• وأما ما ذكرت من وليدة رأت عورة رجل، أو مسته، هل للوالد أن يطأها وقد رأت عورة ابنه ولم تزد على ذلك، والولد بمنزلة ذلك، وقد مس كل واحد منهما العورة؟ فأحب ذلك إليّ أن يتنزها عن ذلك، ويتركه إلى غير ريبة.

اكتب إليّ بحالك، واعلم أنّك ممّن يعجبني صلاحه وعافيته. نسأل الله لنا ولك صلاح الدّنيا والآخرة وعافيتهما.

والسلام عليك.

* * *

الرسالة الثالثة

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من جابر بن زيد إلى ظريف^(١) بن خليل

سلام عليك.

فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. وأوصيك بتقوى الله العظيم، واطلب بها حاجتك إلى الله، فإن العباد لم يصيبوا النجاح لما طلبوا من قبل الله بمثل التقوى، بها يعطي الله الرزق في الدنيا، والمخرج من كربها، والمرفق من منافعها، واليسر من عسرها. وبالتقوى تصاب الراحة والروح عند الموت، ورضاء الله ورضوانه ويسره، ونزلاً في الجنان، والقربة من الله، وعند ذلك عرف المتقون غيب التقوى وعاقبتها، ويصغر في أنفسهم الذي عملوا في التقوى لما رأوا من عظيم ثوابها، وودّ المحسنون لو أنهم ازدادوا إحساناً مع أنهم بلغوا بالذي أخذوا به ما لا يرون أن أحداً أُثيب مثل ثوابهم، وكلّ المتقين في كفاية يشتغل فيها.

واعلم أنه لم يصب المتقون من [فيما بعد]^(٢) الذي لقاها الله عند الموت من التكرمة بالتسليم والريحان، إلى الذي أصابوا فيها بعد ذلك أفضل منه،

(١) في كلا النسختين: طريف.

(٢) ما بين قوسين مخترم في (أ). والذي أثبتته من (ب)، والعبارة غير ظاهرة المعنى.

حتى أضحووا في مضاجعهم، وحتى بعثوا منها، في كلّ تلك المواطن استأنفوا من الكرامة ما لم يكونوا يصيبوا قبلها أفضل منها، فلم تَنْتَه بهم كرامة الله ترفعهم في المزيد حتّى عهد بهم العاهد قاعدين عند ربّهم في معذرة الملك ملوكًا، محبرون، قد خلفوا جملة الأذى كلّها، وذهب عنهم المكروه، واستقبلوا اللذات شبابًا^(١)، فليس في مثل الذي ذخر الله من ثواب المتّقين ما يشتغل^(٢) عنه مشغول، ولا يزهد فيه زاهد، ولا يتوانى عن طلبه مُتَوَانٍ، مع أنّ الذي ادّخر لأوليائه أفضل من الذي ذكر، وكفى كرامة بالعباد.

فإن استطعت ألا تشتغل عن الله وحاجته بحاجة مَنْ ضَرُّه أقرب من نفعه فافعل، فإنّه من يكن في حاجة الله يكن الله في حاجته؛ يحفظها كلّها، ولا يضيع من حفظ الله، وحسبك الله كافيًا.

واعلم إن اقترفت وسوّفت وانتظرتِ بَعْدَاتٍ تَعْدُهَا نفسك يَنْزِلُ بك الأمر وأنت في بعد أمل، وينزل بك الأجل، وعند ذلك تعرف تفريطك، وتنزل بك العقوبة، وتأخذك الندامة والشقاء. والمفتضح^(٣) المهضع^(٤) الحيران مَنْ بلغ منتهى أجله في غير رضوان الله، ذلك تنتهك مفاضحه صرفًا، وينزل الكرب عليه بعضه على بعض، مع ما لقي ببشارته من عذاب الله، يراجع الملائكة ويججدها بما لا يراد الله بمخادعته إياه بما عمل إلا سخطًا في أنّهم يراودهم أن يقللوا عثرته، وما يزيدونه إلا ضربًا، يقلب لوجهه مبطوحًا فيضرب منه الدبر، حتّى [إن هاجت]^(٥) حريقًا في الدبر

(١) في المخطوطتين: شبابا.

(٢) في (ب): يشغل.

(٣) في المخطوطتين: المفضح. وقد صححها ناسخ (ب) كما أثبتنا هنا، وهي أشبه.

(٤) هكذا في النسختين، ولعله: المهطع.

(٥) في كلا النسختين: إن جت. وصححها ناسخ (ب) في الهامش.

قلب فنصب وجهه لهم، فإذا هاجت حريقاً [تترضى]^(١) الملائكة ربّها لشدة النّعمة منه، ولسوء نزله من النّار.

وكلّ الذي يُصنع به صغير فيما يصيب بعد إفضائه إلى ربّه السّاخط عليه، غير [.....]^(٢) لم يؤخذ أخذه أحد، ولم يوثق وثاقه أحد، فينسيه الذي لقي في مضجعه ما أصابه عند الموت، وينسيه الذي أصابه من الهوان في مرقده الذي أصابه عند مبعثه، وينسيه ذلك كلّ الذي سيق إليه من نار الله الكبرى، إن قذف به في النّار أسيراً، يداه إلى عنقه في الأغلال، ورجلاه موثوقتان إلى ناصيته، عليه كسوة يأكل بعضها بعضاً، على جلد لا يتمالك الذي يصيبه من الحريق أن يحترق، فيكسى جلداً غصّاً^(٣) رقيقاً، مع مزيد في الذي ذكر الله وما لم يذكر.

وكفى بالذي ذكر شقاءً وعذاباً، غير أنّه من دخل النّار فقد شقي وخزي خزيّاً طويلاً لا انقطاع له، فعهد العاهد بالمفرطين قد أرتجت عليهم أبواب النّار، مسلّط عليهم ملائكة نزعت منهم الرّحمة، وأعطوا القوّة في غلظ وفضاظة^(٤).

فليس في مثل الذي ذكر الله من الهوان لمن عقله وأيقن به وصدّق به ما يهون في أنف من يعقله، ولكنّا لو نعقل الذي نصف من ذلك، أو نذكر، أو يبلغ نعتة قلوبنا أو تصدّق به؛ لم نلتفت إلى شيء من الدّنيا حتّى ننظر إلى ما تصير به الأمور من ذلك، وما نُعطى ذلك إلّا بالله الذي خلق الخلق لجنّة

(١) بياض في (ب). وفي (أ) كلمة وجّهتها كما تجد هنا. وهي غير مقروءة في المخطوطة، وهكذا رسمها: تترطا.

(٢) هكذا، والظاهر أن هناك نقصاً في الكلام.

(٣) في (أ): غطا.

(٤) في (أ): فضاضة.

ونار، فمتهى العباد إلى ما خلقوا له. فنسأل الله الرحمن الرحيم لجلاله^(١) وبقاء وجهه وحسنه ونوره وجماله أن يجعل سعيينا عنده السعادة^(٢).

أما بعد؛ فإننا سالمون صالحون إن اتقينا الله بحقه. وقد أتاني كتابك تذكر فيه أنني من أهل ودك وصنيعتك ومناصحتك لما جعل الله بيننا وبينك من الإسلام، فهو أفضل النسب، وأفضل ما تواصل الناس به، وتسبت^(٣) حبلهم بحبله.

• أما الذي ذكرت من رجل لا يعرف له وارث إلا أم له مملوكة، فعتقت قبل أن تقسم الميراث؛ فإن والدته ترثه إن لم يكن أحد أحرز الميراث بحقه، ولو كان له ورثة يحرزونه ثم كانت الوالدة بمنزلة ذلك ورثت.

• وأما الذي ذكرت من رجل باع بُراً بدراهم إلى أجل: قفيزين بدرهم، ثم بلغ أجل الدراهم فحلت دراهمه، فقال صاحب الدراهم: عندي برّ، إن تشأ أن تأخذ بسعر ما يبيع به اليوم فعلت، وإن تشأ أن أبيع فتأخذ دراهمك فعلت. إن ذلك لا بأس به، إنما هي دراهم، وله أن يأخذ بدراهمه ما شاء من العروض، وإن باعه خمسة أقفزة وزيادة فلا بأس.

• وأما ما ذكرت من رجل اشترى مئة من الشياه عدداً، على الرجل أن يوفيهها عدداً من أي قطيع شاء، قد تعلم بعينها ثم عرض له أن يقبض. فأما العدد فلا بأس ببيعه قبل أن يقبض، إلا أن تكون الغنم قد كانت بنسيئة إلى أجل فلا يبيعها حتى يقبضها. وأما ما كان من بيع حاضر فلا بأس به، إنما يكره النسيئة من أجل نقصانها. وأما أن يقول: عد لفلان المئة التي اشتريت منك؛ فلا بأس بذلك.

(١) في (ب): بجلاله.

(٢) في (ب): للسعادة.

(٣) في النسختين هكذا، ولعله: تشبث.

• وأما ما ذكرت من رجل يجامع جاريتين في جنابة واحدة فإن ذلك لا بأس به، ما لم يجمع بينهما. فأما أن يجامع رجل جاريتيه في بيت ثم يخرجها ثم يرسل إلى الأخرى فذلك لا بأس به.

هـ وأما الذي ذكرت من رجل أتى امرأته وهي في المستحم تغتسل من المحيض، قد غسلت فرجها ولم تُفَضِّض الماء على سائر جسدها، وقد غسلت رأسها؛ فتلك لا تصلح مجامعتها.

و وأما ما ذكرت من أن أبين لك^(١) شأن المجامعة، وفرج المرأة حيث أوتي، وكيف صنع الرجل؛ فلا بأس به، والدبر لا يصلح، واذكر اسم الله على المجامعة. وأما أن يبيت الرجل جنباً على أن يعاود امرأته، فليغسل فرجه وليتطهر طهوره للصلاة. وإن لم يرد أن يعاود فليغتسل. والغسل أن يبدأ بمذاكيره^(٢) فيغسلها، ثم يغسل كفيه من غير أن يدخلهما في الماء، ثم تفيض الماء عليك.

• وأما ما ذكرت هل يتطهر الرجل بعد ذلك للصلاة؟ فكفى بطهره على مغتسله طهوراً.

• وأما ما ذكرت من الماء ما يغسل الرجل؟ فإنه يغسله ملء التور ليس بصغير، فإذا اغتسلت فانضح الرأس واللحية، وأما نضح الثوب فإن الثوب لا يجنب ولا الفراش.

• وأما ما ذكرت هل يصلح أن تمسّ ثوبك بعد ذلك؟ فإن وليت أن تمسح ذكرك فلا تمسّ ثوبك حتى تغسل كفيك، واعلم أنه يستحب أن يغسل الرجل ذكره حين يقوم قبل أن يمسه شيء من ثيابه.

(١) في (أ): ذلك. والتصحيح من (ب).

(٢) في (أ): بمذاكيره. وما أثبتته من (ب).

• وأما ما ذكرت أن أتبين لك أفضل صلوات الليل، فإنه بلغني أن أفضلها أول نومة. بلغنا أن أول هجعة للناس ينادي منادٍ: من يدعو فيستجاب له، ومن يستغفر فيغفر له، ومن يتوب فيتأب عليه.

• وأما ما ذكرت من رجل سبقه الإمام بركعة وأدرك الأخرى فليتم ما سبق به إلى ما أدرك.

• وأما صلاة الجمعة مع الإمام ركعتان، فإن لم يدرك شيئاً من ذلك [مع]^(١) الإمام فليتمّ صلاته الأولى. واعلم أن الجمعة عزيمة من الله على المؤمنين، وأنه بلغنا أن الكتاب يكتبون يوم الجمعة على أبواب المساجد حتى يخرج الإمام فيرفعون الكتاب. وقد تحدّث الناس أن في الجمعة ساعة لا يدعو فيها مؤمن ربّه إلا استجاب له. وقد ذكر لنا عن ابن عباس أن ذلك حين يقوم الإمام إلى الصلّة، وذلك أشغل ما يكون عند صفوفهم.

واكتب إليّ بما كانت لك من حاجة. واعلم أنه حبيبٌ إليّ توفيقك الرشد، وما ذاك إلا بالله الكبير. نسأل الله الكبير المتعال أن يوفّقنا وإياك للتي هي أحسن، حتى يرضى بذلك عنا. والسلام عليك ورحمة الله.

* * *

(١) ناقص من (أ).

الرسالة الرابعة



بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من جابر بن زيد إلى غطريف بن عبد الرحمن

سلامٌ عليك.

فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. وأوصيك بتقوى الله، وحُسنِ الثقة في التوكل عليه، فإنَّ [مَنْ] يُحْسِنِ الظَّنَّ بالله تكن ثقته به، ومن يكن سيِّءَ الظَّنِّ بالله تكن ثقته بمن لا يكفيه من أمره كفاية. وينزل السيِّءَ ظَنَّهُم بالله بمنزلة الردى والخسران. فاتق الله ولا تكن منه على حَرْفٍ. وكن صادقًا في النصيحة، ولا تكن مخدوعًا خادعًا.

واعلم أنَّ الأحمق الجاهل مَنْ طلب مخادعة الخالق، خالق الخداع، ذلك يَنْزِلُ به جَهْلُهُ أبوابَ التَّفَاق. واعلم أنَّ لأهل التَّفَاق أبوابًا، نسبتهم في منازل مختلفة، النَّاسُ منها ما يَصْغُرُ في أنفسهم أمرُهُ، يخلف الله به من الإسلام فيعلم من شاء بذلك، ومنهم من يصير له بأخلاق يتخلَّى بها في الإسلام.

واعلم أنَّه كان من أصغر أبواب التَّفَاق في أنفس النَّاس الخُلْف، فأعلم الله به النَّاس أمرًا عرفوا أنَّ مصيره من خالطه من الذي يصغر في نفوسهم إلى

الناس، فيعرف أهل اللب أنّ ما سوى ذلك عند الله ما هو أكبر من الخلف، على قدر ما يعظم من أبواب التّفاق. فتعاهد تلك الأمور، وتذكر عاقبتها، وتنزّه عنها تنزّه من توقّاه توقّي من ترك فيه كثيرا من صفة الأمور مخالفة القربة، من التي بها يسخط الله على المقارفين لها.

واعلم أنّ العباد بمنزلة عور [؟]، الكيس منهم المقارف للحزن والبكاء والخوف مخافة الاستدراج. فإن استطعت أن تعاهد منزلتك في كتاب الله فافعل، فإن منازل العباد مستبينة واضحة، يعرفها أهل المخرج من الزلزل والعثرات.

واعلم أنّ الجبار لم يزل يصنع إلى المناصحين له في أمره من الصنع صنعا عرفهم به منازلهم من الله في كتابه، فما زالوا به للمهتدين منارة، يهتدون بها فيأخذون في جادتها، أعلم لهم فيها النور، حتى إذا ذللت لهم طرقها، ودلّوا بعرفانها، ووطنوا قلوبهم عليها، وتبين لهم واضح مهيع؛ سَمَا بهم في مزيد الهدى والثبات، حتى أعلمهم جملة نسبتهم ونسبة الناس، حتى عرفوا أمر الله ونسبته لخلقه ما لم تعرف الملائكة، حتى عرفوا مواضع الكلام وكل لحظة وزلة. فإن استطعت ألا تكون متعاهدا لما لا تغنى به شيئا، وتصنع الذي أنت عنه مسؤول من هذا.

واحذر أن تدلّ على الله بدالة، ولا ترين أنّ لك فضلا في الإسلام، فإنه من يكون بتلك المنزلة من التزيين تزيّد من معرفة فضله. ومن يكن بهذه المنزلة يكبر مقته عند الله. وكفى بالعباد شقاء أن يكونوا بمنزلة يرون أنّ لهم فضلا على سائر العباد، بخير ابتلاهم الله به واختصهم به.

واعلم أنّ المصغّر إليه نفسه، المحتقر إليه عمله؛ بمنزلة غبطة عند الله وشرف، ففهم في الذي عمّر الله به قلبك من كتاب الله، فإن القارئ له من

عرف منزلته، والجاهل له مَنْ لَمْ يَذَرِ أموره وإن دلَّ^(١) به لسانه. فنسأل
الذي بفضلته ورحمته يتدارك أهل الزلل والخطايا أن يتداركنا في الذي
أسخطناه فيه.

أمّا بعد؛ فإنّا صالحون سالمون إن عرّفنا الله فضله وفواضله، وقد أتاني
كتابك تذكّر فيه صلاحك وعافيتك، فحمدت الله على ذلك، وسألته تمام
كرامته فيما يوافق محبّته، حتّى يمضينا على ذلك.

• وأمّا الذي ذكرت من رجل أسلف بُرْداً بثوبين، فإن يردّ غير البرود فإنّ
ذلك لا يصلح.

• وأمّا الذي ذكرت من شأن الحبوب وما يباع شيء منها نسيئة ببرّ فإنّ
ذلك لا يصلح.

• وأمّا الذي ذكرت من رجل أدرك الإمام يوم الجمعة وقد تقدّم إلى
الصلاة، وليس الرّجل على طهر ولا ماء، لكنه إن طلب الماء فاتته الصلاة مع
الإمام؛ هل له أن يتيمّم بالصّعيد ويصلي؟ فلا لعمرى؛ ما الصّعيد في قرية فيها
الماء، إنّما الصّعيد في الفلوات حيث ليس الماء، فليطلب الماء ثمّ يصلي
الأولى، فلا والله ما أنا بمرخص له في الصّعيد وهو غير متوضّ، وما بال
الرّجل يأتي الجمعة وهو غير متوضّ!!

• وأمّا الذي ذكرت من رجل أصاب من امرأة زنى في شركهما، ثمّ أسلما
بعد ذلك؛ هل يصلح له أن يتزوّجا، يجدّد لها؟ فذلك الذي كان يقول ابن
عبّاس رضي الله عنه : «أوله سفاح وآخره نكاح».

• وأمّا الذي ذكرت من رجل اعتمر عمرة ثابتة، ثمّ رجع إلى أهله فقضي له

(١) هكذا في الأصل. ولعلها: دَلَّلَ به لسانه. أي: حرّكه.

أن يحجّ؛ هل له أن يتمتّع؟ فإنّ قدم من يوم عرفة فلا عليه أن يتمتّع، فإن قدم قبل ذلك وأنف [؟] فإنّي أكره أن يقيم بمكّة أيامًا محرم، فليتمتّع، على أنّه العمرة في السنّة واحدة.

اكتب إليّ بما كان لك من حاجة.

والسّلام عليك ورحمة الله.

* * *

الرسالة الخامسة

بسم الرحمن الرحيم

من جابر بن زيد إلى الحارث بن عمرو

سلام عليك.

فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. وأوصيك بتقوى الله، والصدق فيما يبلغ به الله، فإن الله موفي الصّابرين أجرهم بغير حساب، والصّابرون بلغ من أمرهم التوكل على الله، والرّضا بقدره الذي قضى الله [به]؛ في الأمور كلّها. فعليك بتقوى الله، فإنّ بذلك تنال ما عند الله من مزيد ما لا تعلم من كرامته، وما تقرّ به الأعين، وذلك كلّه لمن علم الله من نفسه الصدق والإحسان. نسأل الله الذي وسع كلّ شيء أن يغفر لنا ما أحاط به علّمه من ذنوبنا.

أمّا بعد؛ فإنّا سالمون صالحون، والله حميد محسن. وقد أتاني كتابك تذكر فيه سلامتك، وتعظم فيه الذي بيننا وبينك، فنحمد الله على ما صلح من ذلك، ونسأله الزيادة في الصّلاح.

وأما الذي ذكرت من منزلك ممّا فنحن عارفون بذلك، ونحن راصدون كلّ الذي صنع، أن جعل فيه عشر ناصريك من النّاس من قسم الله له الشرف في الدّين والدّنيا. جعلك الله بخير. لبيب فاضل الرّأي، ثابت المنطق. فما زلت -

والحمد لله - أخبر لك الذي بلغك الله من الفقه في الدين، والتَّصِيحَة، ومنتَهَى ما ترجو فيه فواضل الأمور. فأتَمَّ الله عليك النعمة، وزادك من فضله، فأنت ممن نَحَبَّ وتقرَّر علينا عينه، ونَحَبَّ رشدَه ورضاه وعافيته، أنت سيِّدنا وقديمنا وكهلنا، ومَنْ نرجو لكلِّ منفعة وشديدة تنوبنا، فأتَمَّ الله علينا وعليك الذي أعطانا من فضله، وزادنا شكرًا برضائه عَنَّا.

أتاني كتابك تسألني فيه عن أمر تأمرني ألا أدخر عنك فيه نصيحةً أقدر عليها؛ لَعَمْرِي إِنَّكَ لذلك أهل.

• وأما الذي ذكرت من رجل كانت به جنابة، ولم يجد إلا ماء يسيرًا، وقد تباعد منه الماء، وقد أدركته الصَّلَاة وخاف أن تفوته، فَإِنِّي أخبرك أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا كان معه ماء يسير كانت له رخصة، إن خاف ظمًا، فليتيَّم صعيدًا كما أمره الله، وإن لَمْ يَخَفْ ظمًا وعنده ما لا يبلغ غسله أجمع؛ فَإِنَّ المسلمين كانوا قبلنا كان الرَّجُل يغسل فرجه ثمَّ يتطهَّر طهوره للصَّلَاة، ثمَّ يصليَّ صلاته، فإذا بلغ الماء فليغتسل.

• وأما ما ذكرت من رجل يَمُّ الصَّعِيد، ثمَّ صلى، ثمَّ أدرك الإمام ولم تفته الصَّلَاة، فَإِنَّ أَحَبَّ ذَلِكَ إِلَيَّ أَلَّا يَتِيَّم الصَّعِيد حَتَّى يخاف أن تفوته الصَّلَاة قبل أن يدرك الماء.

• وأما الذي ذكرت؛ هل يعيد الرَّجُلُ الصَّلَاةَ إِذَا أدرك الماء ولم تفته الصَّلَاة؟ فَإِنْ شَاءَ أَنْ يَغْتَسِلَ ثمَّ يصليَّ فليفعل، فَإِنْ أَتَكَلَّ^(١) على صلاته فقد صلى، وَأَحَبُّ ذَلِكَ إِلَيَّ أَنْ يَغْتَسِلَ ثمَّ يصليَّ إِنْ لم يكن فاته حين الصَّلَاة.

• وأما الذي ذكرت من قلة الماء مع الرَّجُل لا يبلغ طهوره أجمع، هل يصلح أن يغسل رأسه في إناء ثمَّ يعيده على جسده؟ فَإِنِّي أخبرك أَنَّهُ يكره أن

(١) موضع المكان في الأصل محترق، ولعلها: اتصل؟.

يعيد الرجل على جسده ما يغسل به رأسه من جنبته، والطامث مثل ذلك؛
يكره لها نحو ذلك، إلا ماء جارياً فقد يصنع ذلك.

• وأما ما ذكرت من رجل يمس مذاكره وهو يصلي؛ فإنه يكره ذلك إلا من وراء الثوب، فلينصرف وليتوضأ وليعد صلاته، وأما [مس] الإبطين فلا بأس بذلك، إن يمستهما الرجل وهو يصلي.

• وأما الذي ذكرت من رجل يصلي المغرب والعشاء والصبح لم يقرأ فيهن بشيء من قراءة^(١)، فإن أحب ذلك إلي أن يعيد صلاته فيقرأ فيها، فإنه قد ترك السنة فيها، إلا أن يكون رجلاً أمياً لا يقرأ واغتم، فإن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها.

• وأما ما ذكرت من إمام قوم لم يركع في صلاة مكتوبة، فاتبعه الناس ولم يركعوا، فإن أولئك أحب إلي أن يعيدوا^(٢) ما خالفوا فيه السنة، فإن من ترك ركوعاً أو سجوداً أو قراءة أو قعوداً لا يستقيم للناس أمرٌ يخالفون فيه السنة.

• وأما ما ذكرت من رجل تسلف في البرّ خمسين كراً أو فوق ذلك أو دونه، ثم يبلغ الأجل فيأخذ خمسة وعشرين كراً، ويأخذ ببقية الطعام رأس ماله؛ فإني أخبرك أن عكرمة فتى ابن عباس يذكر عن ابن عباس أن يأخذ طعامه كله أو دراهمه. وأما أنا لا أبا [؟] إلا رجلاً تسلف في كثر دراهم معلومة، ثم أعطى للأكرار كلّ كر دراهم معلومة، فإذا بلغ الأجل قبض طائفة وتجاوز عن طائفة، فإن الرجل يتجاوز عن ما يشاء من ماله ويأخذ ما يشاء فلا بأس، والله جازٍ [العباد]^(٣) بنيتهم، فليأخذ، وإنما يكره أن يأخذ طائفة برّاً وطائفة تقوّم فيأخذ قيمة البرّ دراهم، وأما أن يأخذ طائفة ويتجاوز عن طائفة

(١) هكذا في الأصل، ولعلها: قرآن.

(٢) هكذا رسمها في الأصل: يعيدواوا. ولعل الواو والألف مكرران.

(٣) ما بين معقوفتين ناقص من (أ). ويدل عليها تكرار العبارة آخر الفقرة.

فلا بأس بذلك، وأما أن يكون أجمل أكرارًا بدراهم معلومة جملة فذلك الذي يكره، والله جازٍ العباد بنياتهم.

واعلم أنك - أصلحك الله - بأرضٍ أكره أن تذكر لي فيها اسمًا، فلا تزو شيئًا مما كتبتُ به إليك، واكتب إلي بما كانت لك من حاجة، فإني أحب رضاك وما يسرك.

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

* * *

الرسالة السادسة



باسم الرحمن الرحيم

من جابر بن زيد إلى عنيقة

سلام عليك.

فإنني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. وأوصيك بتقوى الله والسداد والاقتصاد، فإن ذلك أفضل ما يُبلغُ الله به.

واعلم أن أحب الأمور إلى الله أن يؤتى فيها: تَنَاهٍ^(١) عن ما حَرَّمَ الله، وتمسُّكٌ بما جعل فيه قضاءه عزيمة. فإذا جاءك كتابي فليَعْنِكَ ما افترض الله عليك في سمعك وبصرك وقلبك وسائر جوارحك، ولا تتوانَ عما لا بد لك منه، وتناولَ ما أنت مستغنٍ عنه؛ فإنَّ الفقير المُعَوِّزَ مَنْ استغنى عن المُفْتَقِر إليه، واَفْتَقَرَ إلى المُسْتَغْنَى عنه، ذلك يكون بمنزلة مَنْ لا يتمسك بعصمة، ولا يتوثق بعروة. فإن استطعت أن تُشْهَدَ - مع علم جوارحك - حَفَظَةً^(٢) الأرض ما تحمد غِبَّ أمرك فافعل، فإنَّ الله جعل أولئك ألسنة ذليقة، يستنطقها الله في مواطنَ ينفع الله فيها الصادقين بصدقهم، ويضر الكاذبين بكذبهم، ويكون

(١) في الأصل (تناهي).

(٢) في الأصل: حففت.

كذبهم عليهم وبالا، ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنْشِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

الخاسر مَنْ خسر على تفريطه في الدّنيا. فاتق الله، واحذر أن تنزل به منزلة مَنْ يعيد بالعمى والتّرك له بعد المعرفة والبصيرة فيه، وذلك أنّه يقول: ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيْمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، ذلك بأنّهم استحبّوا العمى على الهدى، واشتروا الخسران بالمرّبح ﴿فَمَا رِيحَتِ بِشَمْرِكُمْ فَسَاكَاوُا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦].

فإن استطعت - ولن تملك ذلك إلا بالله - ألا تموت إلا وأنت مُسالم فافعل، فإنّ الإسلام سلم وسلامة، من أن تكون من أهله، تأخذ من أدبه، وتثبت على خلقه، ومَنْ ينتحله بغير ثباتٍ عليه ولا ومواتاته ينفي منه. والإسلام كلّ الخلق يعترف له بحقّه، ومن يجهل ذلك يكن الله له قليل العتاب. ومن يعرف الإسلام بحقّه ثم استخفّ بعد الإقرار به على نفسه [.....]^(١) معاتبة الله، ويكون ذلك عليه شقاء. بات لا يُعلّم أحدٌ أبعد من الله بُعداً، ولا أثبتّ عليه عذاباً، ولا الخلق كلّهُ تروله [؟] معاداة منّا وأنتم؛ إن لم يعرف الله منّا النُّصْحَةَ والإخلاص له في الذي استشهدنا به على أنفسنا.

فاتق الله، وكن لِمَا خفتَ فيه على نفسك حَسَنَ المعذرة إلى الله، فإنّ الله لم يردّ على أحدٍ من الأولين معذرة يعرف له العذر فيها فيردّ على الآخرين. واعلم أنّ أفضل المعذرة ما اعتذرتَ إليه في وَجَلٍ ومخافة، ومن يعتذر في غير أمر يكبر به ولا يخاف على نفسه فيه الهلاك لا يقبل الله له فيه عذراً، وأفضل التّنصل إلى الله من الذّنوب وأحلّ من مجادله فيها واستعن عليها لمخافة [؟].

(١) بياض في الأصل بقدر كلمتين.

واعلم أنّ العبد لم يمانع [؟] مثل الله استنصاحًا، ولا أشدَّ حيلة، ولا أعظم مجازاة، ولا أقلَّ مؤونة ومرزية، وذلك بأنَّ الله له الدُّنيا والآخرة ومن فيهما وعليهما، فبلغ من غناء الرّب العظيم أن أعطى عباده من دنياه، ثم استقرضهم شيئًا أعطاهم، لِيَبْلُؤَ بذلك أخبارهم، ولينظر كيف يصنعون فيما آتاهم من فضله.

فكن - ولا قوّة إلا بالله - كيّسًا في أمرك حازمًا، فإن أفضل الكيس التّقى. وإنّ أفضل الحمق الفجور. وإنّ أفضل الغنى غنى النفس. وإنّ أفضل الفاقة فاقة النفس. مَنْ يَسْتَغْنِ بنفسه يحسن ظنّه. ومن يفتقر بنفسه يسوء ظنّه. المؤمنون على أمر معروف؛ يعرف لهم في الأمور كلّها الفضل، بأنّ المؤمنين فضلهم الله بثباته إياهم في ما أثبتهم عليه، من الذي ارتضى لنفسه من مكارم الأمور. فليس من ذلك شيء أثنى الله به على نفسه إلا خصّ المؤمنين به، وجعل لهم فيه أفضل النصيب.

فانظر ما أوتيت من ذلك وما وطنت منه، واسأل الله الرّحمن الرّحيم أن يرحمنا بما رحم به مَنْ كان قبلنا من المسلمين، وأن يكون ما وهبَ وما قَسَمَ لِحَخيرٍ يريده بنا، وَلِخَيْرٍ سَبَقَ لنا عنده.

أمّا بعد؛ فإنّا سالمون صالحون من فضل الله علينا ومواهب منه، ومن هو لك عان به كالذي تحبّ أن يكون وتكونوا^(١).

وقد أتاني كتابك تذكر فيه سلامتك، وحُسنَ بلاء الله لديك في الأمور كلّها. فنحمد الله على ذلك، ونسأله ما يرضى به عَنّا من تمام النعم والثواب.

(١) هكذا في الأصل.

(٢) هكذا في الأصل.

(٣) في الأصل: وتكونون.

أتاني كتابك في الذي تحب أن تسألني عنه ممّا^(١) أن أبلغ فيه ما تطمئن إليه، فإنما ذلك بالله وميثته، ليس من ذلك شيء إلا ما يزوي الناس عن الناس، وأما من رأي عندنا فنحن في ذلك أنقص رأيا.

• وأما الذي ذكرت من امرأة تجمع بين الرجل والمرأة حراما بمنزلة واحدة؛ هي في الحد أم لا؟ وهل يحل نكاحها إذا هي تابت من ذلك ولم تقرب زنى؟ أما الثلاثة فهم في الحدود سواء؛ إذا عُرف منهم ذلك، وأما نكاحها فأكرهه لكل مسلم.

• وأما الذي ذكرت من امرأة كانت من أرض خراسان لها زوج، ثم خرجت من أرض خراسان^(٢) إلى أرض حرب لأهل القبلة، وهم أهل قبلة، فتزوجت وكان ذلك دينهم. ثم رجعت إلى خراسان وقد توفي زوجها الأول، هل يصلح لرجل مسلم أن يتزوجها إذا هي تابت؟ فذلك حرام على كل مسلم، ومثل هذا من المسألة لا يعجبني أن تكتب إلي به.

• وأما ما ذكرت من الإذن والتسليم في الفساطيط والأخبية، فهي بيوت، فسلموا على أهلها واستأذنوا.

• وأما ما ذكرت من رجل طلق امرأته، ثم تراضيا على الرضاع حولين كاملين؛ هل يصلح له أن يشترط عليها ألا تتزوج فيهما؟ وقولك: فإن تزوجت وحملت ثم فصلت الولد قبل أن تتم ذلك؛ فإن الشرط عليها قبيح، وإن شرطت ثم تزوجت لم تزك حراما، وما كان من رضاع قبل التزويج حسيب، وما كان بعد التزويج فإن شاء والد الولد لم يخسبه، إن نسخوا يقوم [؟]، وإن سخت المرأة نفسا بما أرضعت ما لم تحمل فذلك حسن لمن قبله.

(١) كذا في الأصل، ولعل كلمة سقطت هنا تقديرها: مما [ترجو] أن أبلغ فيه ما تطمئن إليه.

(٢) في الأصل: خراسان.

• وأما ما ذكرت من الميثاق قبل انقضاء العدة: لا أتزوج غيرك؛ فقد عزمنا العقدة، فذلك نكاح لا ينبغي، فإن نكحها بعد انقضاء العدة فُرق بينهما، ولم يعجبني مراجعتها وأن لا يكون تزوجها، فوالله لتزكُّها أحبُّ إليّ. وكان ابن عباس يقول: إن تركا الميثاق ومضت لها في غير عدة نحو العدة الأولى فلا بأس بنكاحها. وترك اللبس أعجب إليّ.

• وأما ما ذكرت من رجل ضربه رجل بسيف أو بعضاً، ثم برئ المجرع فأعطِيَ دية الجرح، ثم بعد ذلك بغى وانتقض الجرح، وكان برؤه الأول على عوار، فمات الرجل؛ فإن ابن عباس كان يقول: قضى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذلك بعد حولين أن الدية كما نقص من ذلك ما أخذ من جرحه. يقول: إنما أوتي من ذلك.

• وأما ما ذكرت من قوم أمَّهم رجل أمِّي في صلاة فيها قراءة، فلم يقرأ إلا أم الكتاب لم يُقِمَّها؛ هل تمت صلاة مَنْ صَلَّى معه أم يعيد صلاته؟ الجواب في ذلك: أنه يعيد صلاته. فإنه قد خالف السنة. وما كان من أمرٍ خولِفَ فيه السنة نُقِضَ.

• وأما قولك: أمَّهم سكران فخلط قراءته؛ فليعيدوا صلاتهم. فبئس الإمام الأمِّي والسكران. فلا يؤمُّهم واحدٌ من ذلك. ولا يأتَمُّوا بهم.

• وأما ما ذكرت من رجل عليه مال كثير لا يدري ما فعل صاحبه أحي هو أم ميّت؛ هل على ماله زكاة؟ فإنّي لا أحبُّ أن يزكِّي رجلٌ مالَ رجلٍ هو عليه دينٌ. وأما قولك ما يصنع به؟ فليمسكه حتّى يأتي صاحبه، ولا يغفل عن المسألة عن أهله وقومه، فإنّي قد علمت أنّه لا يجب أن يتصدّق به ثمّ يقومه إن جاء له طالبٌ.

• وأما ما ذكرت من رجل رمى أمٌ ولدٍ له وليدة؛ فإن ابن عباس كان يقول في ذلك قولاً شديداً، يقول: تحرم عليه.

• وأما الذي ذكرت من رجلين اشتركا في جارية، فوقع عليها أحدهما فحملت منه، فقال الآخر: جاريتي عذراء وقعتَ عليها فافتضضتها، وكانت عذريتها تُغليها. فمضى كذلك حتى استبان حملها. فأما الذي وقع عليها فهو زانٍ، وإن كان محصناً رُجم، ووقفت الجارية يوم هي عذراء بأعلى قيمتها، فأخذ من مال الذي وقع عليها نصف ثمنها، فإذا ولدت قُومَ ابنُها، ثم أخذ شريكه نصف ثمنه^(١).

* * *

(١) تمت الرسالة هنا في الأصول دون خاتمة.

الرسالة السابعة



باسم الرحمن الرحيم

من جابر بن زيد إلى نافع بن عبد الله

سلام عليك.

فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. وأوصيك بتقوى الله الرب العظيم، الذي يعلم منك ما تجهل من نفسك، والذي اطلع على ما يضمرك قلبك، وما تختار عينك، وما تبدي أو تخفي نفسك، وهو أقرب إليك من حبل الوريد.

فانظر هذا الرب الذي نزل منك هذه المنزلة، فكن منه أشد مخافة، وله أشد اتقاء من غيره، واعلم إن أطعته رافقته في داره مع الأنبياء والصديقين والشهداء، وحسن أولئك رفيقاً، وإنك إن عصيته أدخلك ناراً ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦]. فإن استطعت ألا تملك قليلاً فانيًا ويشغلك عن كثيرٍ باق فافعل.

واعلم أن ذلك ليس إليك، فاسأله واستوهِبه ممن يملكه، وأعلمه منك الرّهبة في مسألتك، والرغبة في استيهابك. ولا قوّة إلا بالله. نسأل الله ونرغب إليه أن يعطينا في أمورنا كلّها ما يجوزنا به في سبيل الصادقين، ويدخلنا في جنّات النعيم.

أما بعد؛ فإننا - وربنا محمود، ونحمده إلينا في أمرنا كله - كالذي تحب من العافية والسلامة، وذلك عام لِمَنْ يعجب ذلك له.

وقد أتاني كتابك تُعْظِم فيه الحقّ والمعروف الذي بيننا وبينك. فما عظمت منه فهو كذلك، والفضل من ذلك في أنفسنا، فنحن له راصدون متمسكون بنصائحه.

وأما الذي ذكرت تُقسم عليّ أن أكتب إليك بحاجتي، وتخبرني أنك بها مسرور؛ فزادك الله من فضله، وأوفاك في الذي أعطاك بأوفى المؤمنين. فحاجتي أن يعافيك، وأن يقرّ عينًا ببقائك فيما تحب.

• وأما الذي ذكرت من الذي تسألني عنه؛ أن امرأة توفيت ولم تحجّ قطّ، فأوصت أن يحجّ عنها إنسان^(١) من مالها؛ فقد أحسنت، فأحجّوا عنها مَنْ هو فقير إلى ذلك، وإن كان من أهل قرابتها.

• وأما الذي ذكرت من رجل تزوج حرّة، ثم تزوّج عليها بعد ذلك أمة؛ فبئس ما صنع، وتنزع الأمة، فإن كره ذلك فالحرّة على رأس أمرها.

• وأما ما ذكرت من رجل يزوّج عبده أمتّه، ثم بدّا له أن يتسرّاهَا؛ فليطلق الرّجل عن عبده، ثم تعتد من طلاقه، فإذا انقضت العدة فليتخذها إن شاء.

• وسألت إن بيع زوجها فذهب به إلى أرض أخرى ولم يطلق، فطلق عنه مولاه الذي باعه قبل البيع، فإن لم يجد مولاه الذي باعه فلا ينبغي له أن يمسهَا ولها زوج نكح بشهود وفريضة.

• وأما رجل ينكح وليدته عند قوم آخرين؛ فلا تحلّ له حتى يطلقها سيّده.

(١) في الأصل: إنسانا.

• وأما ما ذكرت من دابة ضربت بيدها إنساناً وعليها صاحبها؛ فليس عليه قصاص، ولكن الدية على صاحب الدابة ما بلغ الجرح والنفس.

• وأما ما ذكرت من أنكم تسبون أهل أرض، ثم يصير الرجل وامرأته لأحدكم؛ فسألت: كيف يصنعون بنكاحها إذا صليا جميعاً؟ فإذا شاء مولاها أن يُقَرَّ نكاحهما على النكاح الأول فليفعل. وإن شاء فرّق بينهما. فإن فرق بينهما وقد اجتمعا في أمر الصلاة على نكاحهما الأول فإن العدة من فرقتهما، وإن كانت الفرقة قبل الصلاة فلا طلاق عليهما، ويستنظف ظهرهما.

• وأما الذي ذكرت من رجل تزوج جارية لم تحض، فطلقها بعد أن دخل بها، فلم تحض حتى كان في آخر عدتها بعشرة أيام؛ فإنها تستأنف ثلاث حيض من يوم حاضت، ولا تعتد بشيء مما خلا.

واكتب إليّ بحاجتك، فإنه مما يعجبني وأستبشّر به.

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

* * *

الرسالة الثامنة



بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من جابر بن زيد إلى يزيد بن يسار

فإني أحمد إليك الله - بعد السلام عليك - الذي لا إله إلا هو. وأوصيك بتقوى الله، والإسلام والاستسلام له فيما أحببت وكرهت، فإنه ليس لك أن تقدر في أمر الله ولا أن تختار عليه.

فأعط الله من نفسك الإذعان، واجعل قضاءه عليك حكماً، ولا تستبدل به غيره فيختلف عليه، وتنزل بطاعته منزل من أطاع سادته وكبراءه فأضلّوه السبيل. نسأل الله الوهاب الجواد أن يهب لنا ما وهب لمن قبلنا من الصادقين، ويجعلنا موافين لما وعد.

أما بعد؛ فإننا كتبنا إليك ونحن بخير من الله، ونعمه متظاهرة لا يحصى عددها، ولا نبلغ شكرها، إلا ما نعيب على أنفسنا فيه، ونزري عليها به، والله المستعان.

وقد أتاني كتابك؛ تذكر الذي ولّاك الله من أهل عُمان ممّا ابتلاك به، وتخبرني أنك حريص على الاقتصاد فيه. لعمري لئن فعلت ذلك لا يسعد به أحدٌ غيرك، ولئن ضيّعت ذلك ما يحمل وزر ذلك غيرك. فإن استطعت أن تبلغ

بالذي أنت فيه الشرف عند الله وملائكته والمؤمنين، فإنه ليس من عاملٍ يعمل على عمل فيقصد فيه، فيأخذ بالعدل؛ إلا أعطاه الله من شرف الآخرة على قدر شرف عمله.

ولعمري قد استعملت على عمل شريف إن لم يُفسدك فيه الشيطان، فإن فساد الشيطان أن يتخذ لك بغياً على عشيرته وغيرهم. فنسأل الله أن يرزقنا أن نعرف له التواضع فيما أعطانا، والاستكانة فيما عرف الصادقين.

• وأما ما ذكرت من الرجل تدفع إليه الأرض يعمرها نخلاً بثلاث أو نصف؛ فذلك ما يكره منه. ولكن استأجر رجلاً بأجر معلوم فليقيم على أرضك ونخلك.

• وأما ما ذكرت من أنك تدفع على رجل بُراً وبقراً، يعمل في أرضك، ويزرع فيها، وله الثلث أو الربع؛ فذلك أيضاً مما يكره، إلا رجلاً تُعلم له أجره.

• وأما الذي ذكرت من رجلٍ تُشركه في أرضك، يُنفق نحو ما تنفق، زعمت أنه يكفيك طائفة من عمله، ويعينه غلامك أحياناً ولا تتفضل عليه؛ فلا بأس بذلك. وقد يشترك الشريكان فيكونان أحدهما أجرى من الآخر، فلا يضر ذلك، ولا تشتط عليه شيئاً في عمله.

• أما ما ذكرت من رجلٍ يؤخذ في بيت المال فتقبل له، وتجعله عليه سلفاً؛ فذلك أكرهه لك، أن ينقد الرجل فينقد عن نفسه، فأما قبالة يقضي لها زماناً لا ينقدها فذلك ربا.

اكتب إليّ بحاجتك، وبما كانت لك من حاجة.

والسلام عليك ورحمة الله.

الرسالة التاسعة



بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من جابر بن زيد إلى عبد العزيز بن سعد

سلام عليك.

فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. وأوصيك بتقوى الله، والموازرة في طاعته، والحيطة على دينه وأهله. فإن الله جعل لأهل دينه أهلاً موالياً لهم ومناصحاً، رؤوفاً بهم رحيماً، حافظاً لِمَا ضيّعوا من أمرهم، وساتراً لهم عورتهم، واصطفاهم على خلقه، واختارهم بعلمه، وجعل لهم المخرج من أمرهم، واليسر ممّا عسر عليهم، والرّزق بتوكلهم، وذلك بأنهم كانوا متّقين لسخطه، راكبين لطاعته فيما وجدوا من الخفة والثقل.

فإن استطعت أن يصحبك الله في الذي أنت فيه فافعل. فإن صاحبه لا يستوحش إلى غيره، ولا يخاف أمنه. وغاية الكينونة معك أن تعلمه منك التقى والإحسان، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

وأزغب إلى الله واسأله في إلحاف وتضرّع ورغبة ورهبة، وأتوجه إليه في دعائي ومسألتي بوجهه الكريم، وأسمائه الحسنی، وبحقّ حملة عرشه ومنّ حوله من الملائكة المقرّبين والأنبياء المصطفين؛ [أن] يصرف عنا وعنك

مكاره الدنيا والآخرة، وأن يعافينا وإياك فيما قدر لنا، وقضاه بنا، وأن يعصمنا وإياك بالإسلام، وأن يجعله ديننا الذي نلقاه عليه.

أما بعد؛ فإننا بخير وعافية من الله إن شكرناه واتقينا، وأهلك ومن يشفق عليك كالذي تحب، لم يحدث عليهم - والحمد لله - إلا خيراً.

وقد أتاني كتابك تذكر فيه حسن دفاع الله عنك، زعمت أنك وليت أمراً لا تخاف فيه [...] ^(١) فكم لله عندنا حسنة ونعمة لا نحصيها، وعادته إلينا في الأمور كما نحب من غير خير يعلمه منا، فنحمد الله على ذلك كله.

ه وأما ما ذكرت من رجل بعث على عمل فتنزله دهاقين الأرض، فإن يكن ذلك من هيبة له فلا يصلح، وأحب ذلك إليّ ألا يرزؤون مرزئة تضرهم، فأما علف الدابة إذا نزل بهم فإنما ذلك بمنزلة سواء، [فدع الرّيبة] ^(٢) وخذ بالعارف.

واكتب إليّ بما حدث من أمر قبلكم.

والسلام عليك ورحمة الله.

* * *

(١) كلمة غير واضحة.

(٢) في الأصل هكذا: بدع الرست.

الرسالة العاشرة



بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من جابر بن زيد إلى مالك بن أسيد

سلام عليك.

فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. وأوصيك بتقوى الله، فإنَّ التَّقوى مقبول فيها العمل، ومغفور فيها الذُّنوب، فإنَّ المتقين غرباء في أهل الأرض، يُعرفون حين ينظر إليهم، وحين يتدبّر أمرهم في العواقب، وعند عزائم الأمور. وعليك بتقوى الله فترى بها في مجالستك كلّها ومواطنك.

واعلم أنّك تؤتى من قبل الله، ولن يحيف عليك ولا لك، فإذا جاءك كتابي فكن قاضياً على نفسك، واجتمع أنت وخصمك عند كتاب الله، ثم ليَقصَّ كلُّ واحد منكما قصّته على كتاب الله، فإنَّ جمع أمركما فدوماً على ذلك، وإنَّ فرّق بينكما فليؤت أحدكما صاحبه. ولا تشقيا. وليعترف أحدكما لصاحبه، فإنَّ التنازع والتشاجر هلاك لأمركما.

واعلم أنّ خصمك في ذلك عملك، فإن قضى لقولك واصطلحا فليعرف من أمركما [.....]^(١) وإن نقص العمل القول كان ذلك غاية الفساد. والحكم بينكما

(١) كلمة غير واضحة.

كتاب الله، لا خِيرةَ فيه ولا منازعة بهوى. نسأل الله ونطلب إليه بغير دالة ندلّ بها ولا قوة ولا خير نمَنّ به من [.....]^(١) ولكن إنّا نطلب إليه بالتّصديق له في مواعده التي لا خلف لها؛ أن يكتب في قلوبنا وقلوبكم الإيمان، كتابًا لا تُغيّره سرّاء ولا ضرّاء، حتّى يدخلنا به جنّات النّعيم، إخوانًا على سررٍ متقابلين.

أمّا بعد؛ فإنّا نحمد إليك الله في حسن الثّناء عليه في طلب متّ وإلينا، ونخبرك أنّ الله محمود عندنا في الذي عرفنا من نعمته وما لا نحصى منها، ونخبرك أنّ الله نِعَمَ الرّب المحسن هو إذا اعتذر إليه، والخيرات عنده.

أتاني كتابك تذكر فيه سلامتك، وتخبرني أنّ ذلك عام لمن يعجبكم شأنه من صديقكم وأهل قرابتكم. فحمدت الله على ذلك، وأعجبني ما ذكرت من الذي صنع الله إليكم من ذلك. فنسأل الله تمام نعمته علينا وعليكم، فيما يرضى به من الشّكر، والسّلام عليك.

• أمّا الذي ذكرت من أنّكم تنكحون النّساء على مُهور تسمّون بها مالاً ونخلًا، وتزعمون أنّ لكلّ نخل ثمنًا معلومًا؛ فأما ما فرضتم دَرَاهِمَ علمتموها نخلًا على سنة أرضكم تراضيتهم على ذلك فلا بأس بذلك، الشّروط أمّلك. وأمّا إذا سمّيتم دراهم ولم تتراضوا فيها بأمر معلوم؛ فإنّ للمرأة الخيار من ذلك إذا شاءت دراهم وإن شاءت نخلًا. وليس لها أن تُجبر على غير ما تشتهي من ذلك. وإن تراضى الأولياء بأمرٍ دونها فليس لهم ذلك بعد النّكاح والفريضة، لأنّه لا أمر للأولياء بعد الفريضة، والأمر في ذلك للمرأة.

• وأمّا قولك إنّ الرّجل يقول: أتزوّج على ألف درهم، أو ما شاء الله من الدّراهم، ثمّ يقول عند النّكاح: إنّ ذلك في ضاحي وأرضي ونخلي لا يُعلم الثّمن؛ فإنّ للمرأة رضاها من ذلك، إلّا أن تقول: أعطني بها مالا نحو الذي

(١) بياض في الأصل.

يؤخذ من قومي في فريضة النكاح. فما لم يُعلم من ذلك فلا تُكره المرأة على بيع. والذي لها في ماله حتى تستوفي دراهمها إلا أن تشاء أن تتجاوز عمّا شئت منه.

• وأما ما ذكرت من الصّرف تصرفون الدّراهم ثمّ لم يشترط لكم ما لم يجد لكم فردّوه ببدل لكم؛ فلا أحبّ ذلك. باينوهم عند ذلك، وافصلوا ما بينكم. فإن لم تبصروا الدّراهم فاستوروها [؟]. فما لم تنقد فيه أبصاركم ولا بصر من تستوروها [؟] له فلا يصلح ردّه، وإن كان غير طائل لا ينفق عنكم.

• وأما الذي ذكرت من اشتراء الأحرار يبتاعون برخص فإن المشتري والبائع سواء؛ فذلك حرام على المؤمنين. فتنزّه عما أرابك. وانتقل منه [إن]^(١) أصابك. ودع الرّيبة لأهلها.

والسّلام عليك.

* * *

(١) في الأصل: إلى.

الرسالة الحادية عشرة



باسم الرحمن الرحيم

من جابر بن زيد إلى سالم بن ذكوان

السلام عليك.

فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. وأوصيك بتقوى الله،
والتوكل عليه، والتفويض إليه، وحسن الظن به، فإن الله نازل من الناس
على ظنهم به، فالظانون به ظن السوء عليهم دائرة السوء. فاحذر أن
يُزديك ظنك بالله.

واعلم أن العباد من ذلك على أمور شتى ونيات مختلفة، فإن
استطعت ألا تقيم ساعة من نهار ولا ليل على أمر تعرف أنه الله سُخِطَ
فافعل، فإن العاقل ليس كالجاهل، وقد ذكر الله قوما عرفوا نعمة الله ثم
أنكروها^(١)، فأولئك قوم فاسقون. وإنه لعمرى ما أنت بمنزلة تُعذر بشيء
تأتيه بجهل فيه.

(١) الإشارة إلى الآية الكريمة: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾

[النحل: ٨٣].

واعلم أنَّ المخدوع مَنْ خادع الله، فَإِنَّ الله لا ينخدع للنَّاس، ولا يُخدَع ولا يُخْلَب، وذلك لما لا يقدر قدر عظمتِه، وإِنَّهُ ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]، فلا يكون الله بنفسك. ولا تحمله عينا [؟]. ولا تطلب معاداته، وافزع إليه بالذي ينفعك. نسأل الله - القديم مَنَّهُ، السابغة نِعْمَتُهُ، العظيم فَضْلُهُ - أن يفضّل علينا بالذي فضل به على عباده الصّالحين، وأن يغفر لنا ولك كلّ شيء أسخطناه فيه منذ عرفنا نعمته، وما قبل ذلك.

أما بعد؛ فإنّا - والحمد لله - بخير من الله. والرّزق متتابع. حبيبٌ إلَيَّ أن أسأل عن سلامتك، ويعجبني رشدك وصلاحك في أمرك كلّهُ. وقد أناني كتابك تذكر فيه عافية الله إِيّاك. عافانا الله وإِيّاك. ودفع عَنّا وعنك الشرّ كلّهُ. فقد أعجبنا ذلك وفرحنا به، فنحمد الله على ذلك وعلى نعمه كلّها. ما شيء من ما أنت مُصِيبُهُ أعجب إلَيَّ من عافيته إِيّاك في دينك.

• وأما الذي ذكرت من الذي يتشاجر فيه ناسٌ ممّن قبلكم من امرأة أخبرت رجلاً عن امرأتين له أنّهما أرضعتهما جميعاً؛ فإن تكن ممن لا تُتَّهَمُ صُدِّقَتْ وفُرقَ بينهم، لأنّه جمع بين الأختين. ذلك من أكبر التّحريم والحرام. ولا ينبغي أن يراجع واحدة منهما ما بقي. وله فيما سواهما مندوحة.

• وأما ما ذكرت من رجل وطئ جارية كان أبوه وطئها، لا علم له بذلك؛ فليبعها، فإنّه لا تحلّ له مجامعتها.

• وأما الذي ذكرت من رجل باع جارية قد وطئها، وعنده أخت لها فوطئها، وكان بين ذلك ثلاثة أيّام؛ فإنّ أعجب ذلك إلَيَّ أن لا يطأها، وقد جمع بينهما، ولا يصلح جمع الأختين وإن كانتا مماليك ممّا ملكت اليمين. والعدة في نفس منها على الرّجل لا بأس به، فإنّي أزعّم أنّ ذلك كنحو الحرّة إذا طلّقت، وإنّما أخذ في ذلك بالثقة. واترك الزّبية لأهلها. فإنّ أعجبه أن يعتزلها كقدر ما لو كان على الأوّل عدة انقطعت أن يجامعها فليفعل.

واعلم أنه لا يعجبني أن تترك لي عندك كتابًا إلا محوَّته، ولا تروِّ عني^(١)
شيئًا ممَّا أكتب به إليك.

والسَّلام عليك ورحمة الله وبركاته.

* * *

(١) رُسمت في الأصل: تر غني.

الرسالة الثانية عشرة



بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من جابر بن زيد إلى نعمان بن سلمة

سلام عليك.

فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، المُمَهِّلَ للعباد بعد السيئات، والمتينَ كيده، فكن منه على حذر. ولا تشهد له معصية، فإنَّ الخزيَّ المُخْتَزِيَّ المغرورَ المغترَّ المفضوحَ غداً مَنْ أسخط الله أو ركب منها شيئاً في عمل أو مهل لم يثبت منه. والمفرط في أمر الله الأحمق مَنْ جزع من فان مكروه. فإنَّ الله أَخَذَهُ أَخَذَ أَلِيمٌ، وعذابه عذابٌ شديدٌ ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقُهُ أَحَدٌ ﴿[الفجر: ٢٥ - ٢٦].

أسأل الله ربنا وربك أن يتوب علينا ممَّا أسخطناه فيه، وأن يحولنا عنه إلى ما يرحمنا به ويدخلنا به الجنان.

أما بعد؛ فإنَّا سالمون صالحون من فضل الله علينا.

وقد أتاني كتابك تذكر فيه الذي ابتلاك الله به إلا أن يُدْرِكَكَ منه برحمة، وتجاوزَ ممَّا تخافه على دينك ودنياك، فقد عرفت أنك منه على شرف وخطر. فإن استطعت أن تضرَّ بالداني منهما؛ فإنَّ الدُّنْيَا ونعيمها أهون فقداً من نعيم الآخرة.

• وأما الذي كتبت تسألني عن خرص النخل على أربابها، ومن إكراهك أناساً على قبالة أرضين هم بها سگان، فذلك لا يحلّ أكله. ولكنك من ذلك كراكب الأسد، ولا إخال لك بدّاً من ذلك، فتنزه ما استطعت ممّا تكره، فإنّ الله لا يعمي عليك شيئاً من ذلك.

والسلام عليك ورحمة الله.

* * *

الرسالة الثالثة حشرة



بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من جابر بن زيد إلى نعمان بن سلمة

سلام عليك.

فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. وأوصيك بتقوى الله، فإن أهل التقوى نزلوا من الله منزلة لم ينزلها أحدٌ من خلقه، حتى ألطفهم في المودة، وصافاهم في النصيحة، واصطفاهم بالكرامة، فما ينتهي بهم المنزل حتى أعطاهم الحب منهم، فبلغ حبه لهم أن أبغض من أبغضهم، وعادى من عاداهم، وسخر ممن سخر منهم، واستهزأ ممن استهزأ بهم، وخادع من خادعهم، ومكر بمن مكر بهم. فما ينتهي بالنصر للمؤمنين حتى مثل بمن استخفّ بحقهم.

واعلم أنه يبلغ من كرامة المتقين على الله أن أحب من أحبهم، ووالى من والاهم، وأكرم من أكرمهم، حتى صنع بهم في الأمور كلها خيرته لهم، في بلاء ابتلاهم به، من فوت رزق، أو ضرر في قسم، أو كرب كربهم. وإنما يصنع ذلك لخير يريد به. المؤمنون من الله بمنزلة لم يكن ليعظم في الدنيا شيئاً ينقص به حظهم عنده. فإن استطعت أن تستحقّ التقوى بقولك وعملك فافعل.

واعلم أنّ العباد لم ينقصوا شيئاً هو أشدّ عليهم من أن ينقصوا دينهم. فلا يطول بك الأمد، فإنّ الله قد حدّر العباد مثال قوم طال عليهم الأمد. واعلم أنّ الأمد في العمل أنّ قومًا عملوا، فلما تطاول عليهم ذلك أدركتهم السّامة فضيّعوا ما أخذوا به، وازدادوا فيه بغضًا، حتّى تبدّلوا اللّهُو والرّاحة بالعمل، ففسقهم الله، ووسمهم بأسوأ السّيمة. فإن استطعت أن تعرّف الله الزّيادة منك في الإيمان فافعل. فإنّه ينسب المؤمنين في الزّيادة، ولا ينسبهم في النّقصان.

فإذا جاءك كتابي فاعرف منزلتك من الله بما تعرف من نفسك. فإنّ الإنسان على نفسه بصيرة. يبصر المؤمنين^(١) ما يكره الله فيتداركون ذلك برضاه. فنسأل الله وندعوه - دعاء من هداه عمله، ومن أوبقته ذنوبه، وأحاطت به خطاياها - أن يستفدنا من كلّ شيء نحن فيه، ولا يعيدنا في شيء يستفسدنا منه. ونسأله أن يرزق لنا عملاً يجعله رضاه حتّى يثيبنا به الجنان.

أمّا بعد؛ فقد جاءني كتابك تشكو الذي أنت فيه من الذي ابتلاك به، ممّا تخاف أن يكون الله قد سلك به دينك ودنياك. وإنّ الغمّ منك أن تقوم بمنزلة فيها هلاك دنياك وآخرتك.

فإذا جاءك كتابي فبِعْ دنياك واشترِ بها دينك. فهلاك دنياك ليست بخطر لدينك. فوالله لو كنت بمنزلة ترجو دنياك إن ذهب دينك ما رضيت لك أن تهلك دينك، ولا عذر لك بذلك، بله أنّك تخاف على دينك ودنياك.

واعلم أنّ ثقة المؤمنين في دينهم الله، إذا اعتصموا بالله، وعرف منهم الثّقة والتّوكل عليه؛ نجاهم من مكاره الأمور. وحقّ على الله أن ينجي المؤمنين إذا هم اختاروه على ما سواه.

(١) كذا في الأصل، ولعلها: يُبَصِّر المؤمنون. أو تُقَدَّر: يُبَصِّر [الله] المؤمنين..

واعلم أنه ليس من العباد خليقة يلتبس مرضاة الناس في سخط الله إلا سلط عليهم من يطلب مرضاته في سخطه حتى يضر به، ويسلط عليه.

• كتبت إليّ أن أدلك على المخرج من الذي أنت فيه، وتأمروني أن أبين لك العدل في الذي أنت فيه. ولعمري لو أخذت في ذلك بأمر أهل العدل لوسعت ذلك.

فإن كان في ذلك في حاجتك، فاجمع أهل أرضك ثم ادع كل إنسان منهم فاسأله ما يطيق. فإنه ليس منهم إنسان إلا كان سيحمل من ذلك أمراً يكون لك فيه كفاية. فإن الدهاقين يأخذون أضعاف ما كانوا متحملين لك. لا يصل من ذلك إلى بيت المال إلا القليل يمسكونه لأنفسهم، ويأخذون الشرط دونهم، وأمور كثيرة تغشاهم. ولا يصل إلى بيت المال منه كثير. فانظر كل إنسان منهم تحمل لك أمراً فقل: ليس عليك دهقان دوني ولا شرطي، إن تشأ أن أكتب لك صكاً بذلك وتدفع إليّ الذي تحمّلت لي. وإن لم يكن عندك اليوم فتحمله في طلب ذلك. فإذا رفعت إليّ شيئاً من ذلك كتبت لك به صكاً. فإن الرجل لعله يؤخذ منه ثلاثمئة، فلا يصل إلى بيت مالكم منه مئة درهم. تذهب دونكم. ومتى توضع عن صاحب الثلاثمئة مئة، وتؤخذ منه مئتا درهم؛ يبقى له ما يعيش به، وتصيب حاجتك.

فهذا أمر إن أخذت به أهل أرضك تكون لهم فيه راحة. وأرجو أن تستخرج منهم أمراً يكون أضعاف ما لو حرصت فيه على خراب أموالهم لم تعد ذلك.

• فأما أمر المسلمين إذا ضربوا الجزية فإنه كان قسمة على الرؤوس، درهمين وجزأين من كل رأس. ثم ينتقل الدهاقين فيقسم ذلك على قدر أهل الأرض وطاقتهم. فيكون الرجل ينوبه من ذلك مئتان والثلاث، ودون ذلك وفوق ذلك، ولا يؤخذ من أهل السكنة شيء. وإن جبر على أحد منهم، فرفع ذلك إلى الإمام عدل عليه. فكان ذلك أمر المسلمين. فجاءت بعد ذلك أمراء

جعلوا يقبلون الأرضين قبالات يتقبلها دهاقينها، ويتنادون في الزيادات، حتى ينتهي بهم الأمر إلى ما رأيت. فانظر أيّ أمرك أخذت به فعليك بتقوى الله، ولا يكون من رأيك أن ترى أنّ الله جاعل هضمك للناس مخرجاً.

• وأما الذي كتبت تسألني عنه من الأرطاب والحبوب والثمار هل كان المسلمون يقسمون عليها خراجاً؟ فلا، لعمرى ما كان على أموال أهل العهد بعد الفريضة شيء وإن كثروا.

• وأما الذي ذكرت من أموال المسلمين في أرضك، كتبت تستأمرني في أن تستعين بصدققتها في الجزية؛ فإنّ ذلك ليس لك. إنّما كانت صدقة أموال المسلمين إلى من بعث الصدقة، ولا تجعل جزية. والله مع ذلك لقد عرفت أنّ الشيطان سيزين لك من أمرك أمراً أخاف أن يوبقك إلا أن يعصمك الله.

فنسأل الله أن يعصمنا وإياك من الزلل والفتن، وأن يعافينا وإياك من شرّ كلّ ذي شرٍّ، ونسأله أن يدفع عنا وعنك من أراد بنا سوءاً من شياطين الإنس والجنّ، وندراً بالله في نحورهم، ونسأله أن يأخذ بأسماعهم وأبصارهم وجوارحهم، ويكفيهم بما شاء، حتى يعرفنا عاقبته في شكر برضائه عنا.

والسلام عليك.

الرسالة الرابعة عشرة



بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من جابر بن زيد إلى ظريف بن خليل

سلام عليك.

فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. وأوصيك بتقوى الله، وحسن الرعاية لدينه، والتعظيم لله، والوجل منه والمخافة. فإن الله مخيف من أمنه، ومؤمن من خافه، ومُرضٍ من عظمه، ومُعَظَّم من أرضاه.

واعلم أنك نازل من الله بمنزلته منك، وإن لك عنده ما له عندك، فثوابك على الله ثوابه عليك. فإن عند المؤمنين ثواباً من الله، وعند الله ثواباً من المؤمنين. أسأل الله الذي ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] أن يرزقنا وإياك ما يحسن به الثناء علينا والثواب.

أما بعد؛ فإني سالم صالح، علي من الله نِعَمٌ متظاهرة سابعة. نسأل الله العون على أداء حقّه وما يرضى به عَنَّا ويرضينا به.

أتاني كتابك تذكر فيه سلامتك، وتعم ما بيني وبينك فيما قسم الله. فنحن بذلك عارفون ومنتصحوون فيه وبه. فأنت ممن أحب صوابه ورشده وتوفيقه؛ لما أعطاكم الله أهل البيت من الشرف في الإسلام والرضا في أهله والثقة عندهم.

• وأما الذي كتبتَ تسألني عنه أن تسلف من الشَّعير والبرِّ على أنَّك من أرض فلان، فيؤتى به لا ترضاه، وإنَّما لك ما شرطت، فإن أتى صاحبك بطعام أجود من غير أن تشترك على صاحبك فلا بأس بذلك.

• وأما الذي ذكرت من بيعه قبل أن تقبضه؛ فإنَّ ذلك لا يعجبني حتَّى تكتاله أو تستوفيه.

• وأما الذي ذكرت من وليدة كان أبوك وقع عليها فأسقطت به سقطاً؛ فإنَّ السَّقط بمنزلة التام في ذلك. وما يعجبني أن تأكل ثمنها من غير أن أحرم ذلك، إلَّا ما قد علمت من أمرها عند الأمير^(١). فأحبُّ إن أنت بعتهَا أن تبيعها في أرض لا يُعلم بها، فإن أمر الأمراء ما قد علمت، ونحن لهم هائبون يلتمسون علينا العلل.

• ثمَّ كتبت إليَّ تسألني عن الذي تراه بعد البول؛ فاغسل منه ذكرك، ثمَّ تطهّر طهورك للصلاة فصلِّ، ولا غسل عليك فيه، فإنَّ المذي غير المنّي.

• وأما ما ذكرت من العزل من الخادم؛ فلا بأس به. ولا يقعن في نفسك منه شيء.

• وأما ما ذكرت من شأن العين؛ يسترقى منها ويتعوّذ.

• وأما ما ذكرت أنَّه يهدي إليك أقوام يرجون نفعك ولا تستطيع لهم نفعاً، فلا تقبل منهم هديّة، فإنَّهم إنَّما يهدون لك لذلك. فمتى ما لم تفعل ذلك تصير خيانة. فإنَّك إنَّما ائتمنت على ما أنت عليه أمانة. فأما قوم يهدون لك معروفاً صنعتهم لم يضرَّ أمانتك شيء؛ فلا بأس بذلك.

انظر - أَمْتَعَ اللهُ بك وغفر لنا ولك - ما كتبتُ إليك من كتابٍ فامحُه.

واكتب إليَّ بما كان لك من حاجة، فإنِّي أحبُّ رضاك، راغب فيه.

والسَّلام عليك ورحمة الله.

(١) في الأصل: الأمر.

الرسالة الخامسة عشرة



بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من جابر بن زيد إلى مالك

سلام عليك.

فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. وأوصيك بتقوى الله الذي يَعَصِمُ مَنْ أَطَاعَهُ مِمَّنْ عَصَاهُ، ولا يعصم منه عاصيه. فاعتصم به فإنه نعم المولى ونعم النصير. ﴿وَمَنْ يَعَصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١]. [.....] بقلبك [.....]^(١) على حذر.

وكن إنما تعمل لله؛ فإنك مهما تعمل لله من خير فلن يدفعه عنك، وما يُعْمَلُ لغيره فالله عنه غني. فلا تقسمن شيئاً من عملك بين الله وبين غيره. فأخلص له الدعوة والعمل، فإنه من يلقى الله والله له حامد والناس له لائمون يقبل الله فيحمدونه إذا حمده الله. ومن يلقى الله والله له لائم والناس له حامدون يقبل الناس فيلومونه إذا لامه الله^(٢). وذلك أن مصيره إلى الله، والله معطٍ له -

(١) بياض في الموضعين.

(٢) في صحيح مسلم عن أبي هريرة، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا، دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أَحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّهُ. قَالَ: فَيَحِبُّهُ جِبْرِيلُ. ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ، فَيَقُولُ: إِنَّ =

يوم القيامة عند قضائه بين الناس - كل عبد بما كان يحتسب وينوي، وذلك العدل من القضاء. واذكر حسنتك عند الله وثوابه منها، فإنه لها موضع صدق يوفرها ويزيد فيها من فضله.

وقد علمت كيف تظاهرت عليك نِعَمُ الله، وقد خُلِقْتَ لأمرٍ اتخذ الله عليك فيه الحجة، وبلغك من الله العذر والتذر، وقد فهمت الذي أُمِرْتَ به، وبَيَّنَّ لك الذي نُهِيتَ عنه، ليعلم الله كيف تعمل لِمَا خُلِقْتَ له، وكيف شكرك لما أنعم الله عليك.

وقد اقترب إنفاذ أجلك، وحضر أمر الآخرة، وعند ذلك تنظر شدة ربك وأخبارك كلها. فانظر ماذا أعددت، وماذا قدّمت له، واستدرك عجزك وتفريطك قبل أن تظعن، فإن الآخر من العمل هو أملك لما قبله من الأول بما بعده من العدل. وإنك خلقت فردًا عريانًا وكذلك تُبْعَث. فخذ في جهازك وزادك، وخذ عدّتك للقاء، وأصلح لنفسك مرجعها، واطلب لها منافع الآخرة فإنها مطلوبة لما ضيّعت وقدّمت، فليهمك أمرها ممّا ليس كما سلف، وتعمّد جابدة [؟] أجلك فزيّنه وأصلحه ولا تغتر. أسأل الله لنا ولك التوفيق لما يرضى، والحفظ ممّا يسخط.

أمّا بعد، فإنك كتبت لأكتب إليك أن تشتري لي ناقة من إبل عُمان، فإن رأيت ذلك فافعل، وقد كان يعجبني أن تأتيني ناقة نجيبة من نجائب عُمان، فاشتر لي نجيبة تعجبك حسناتها ومشيتها وحسن دلّها. فإنني شيخ قد كبرت، وهي حاجتي لسفر، بعير حسن الخلق. فإن تيسر بعثها فابعث بها

= الله يُحِبُّ فُلَانًا فَأَجِبُوهُ، فَيَجِبُهُ أَهْلُ السَّمَاءِ. قَالَ: ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ. وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا، دَعَا جِبْرِيلَ، فَيَقُولُ: إِنِّي أَبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ. قَالَ: فَيَبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ. قَالَ: فَيَبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ.

إليّ مع من شئت أنت، واكتب إليّ بثمانها الذي تشتريها به فأرسل به إليك إن شاء الله.

• وكتبت إليّ في شأن المحارثة؛ أنّ الأرض والأداة والبقر والبذر كل ذلك عندك، فيأتيك ناس يطيبون إليك نفساً بعملهم، ولا يشترطون عليك شرطاً ولا تشتري عليهم، إلّا الذي يرجونه عندك من الثقة والمعروف وحسن الخلق، فيحرثون لك، ويحافظون على سقي الحرث وحصاده وجمعه. فإذا فرشوا من الحرث أعطيتهم ما شئت أقللت أو أكثرت، فرضوا بذلك وطابوا به نفساً؛ فلا أرى عليك بأساً فافعل.

• وكتبت إليّ أنّ لك حرثاً متفرقاً في قرى؛ فلا يضرّ ألاّ تكلف جمعه، ولكن إذا فرغ أهل كلّ قرية من حرثك الذي في قريتهم فافعل فيه الذي عليك من حقّ الله الذي فرض، ولا يضرّك ألاّ تجمعهم جميعاً إذا أعطيت الحقّ الذي فيه.

• وكتبت إليّ في مسيرك في قرى الحرث، كيف صلاتك؟ فصلّ ركعتين حتّى ترجع إلى دارك التي فيها قرارك، كنت عاملاً أو غير عامل. وإذا سرت في رمضان وكنت ميسراً لصوم فصم، فإن كانت بك مشقة وعسر فأفطر، حتّى ترجع إلى دارك التي فيها قرارك، فإنّ الله يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر.

• وكتبت إليّ أنّك أردت الإذن في الحجّ فلم يؤذن لك، وقد كنت حججت قبل ذلك فجمعت عمرة وحجّاً؛ فقد قضيت الذي عليك من العمرة والحجّ والوقوف، فلا أرى عليك هدياً في الحجّ الذي استأذنت له، إلّا أن تتطوع بخير فإنّ الله شاكر عليم.

• وكتبت إليّ أنّكم تشترون الإبل بالغنم؛ فلا أرى بذلك بأساً.

• وكتبت إليّ في رجل ضربته فقصي له أن مات، وكنت أرسلت إلى بنيه أن يفرضوا الدية، فكرهوا وأحبوا أن يتصدقوا، فأعطيتهم قيمة أربعين شائلة؛ فإن كنت تعلم أنهم تصدّقوا عليك بما بقي من الدية طائعين غير مكرهين، وطابوا لك نفساً غير خائفين لعقوبتك ولا لضرّك إياهم؛ فاقبل ما تركوا من الدية، وإلا فأوفهم ديتهم. فذر ما يريئك إلى ما لا يريئك.

والسلام عليك ورحمة الله.

* * *

الرسالة السابعة عشرة



بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لعبد الملك بن المهلب من جابر بن زيد

سلام عليك.

فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. وأوصيك بتقوى الله، فإن حسن الرعاية والتشبه بأخلاق المؤمنين، والاعتداء بهداهم، واتباع أثرهم أفضل لأقدامهم، فإن الأول قد أبرأ الآخر.

فأعلم - أبا عثمان - الله من نفسك التحري لمسرتة، والاتباع لرضوانه، والتعظيم لدينه. فإن أفضل المؤمنين عند الله شرفاً ومنزلةً ووجهًا؛ أفضلهم تعظيمًا له ولكتابه ولدينه ولحرمة. ويؤتي الله المؤمنين لكل ذي فضل فضله. فابتغ بما آتاك الله من أمر الدنيا من الفضل فيها على كثير من الناس نصيبًا في الآخرة، ترجو به الفضل في الدرجات والثواب. فإن الشرف في الدنيا يبلغ الله به شرف أعمال الآخرة، وما ارتضى الله [.....] ^(١) شرف سادات مسودون.

(١) بياض في الأصل.

ومن يَدْعِ الشَّرْفَ في الدُّنْيَا بغير شرف في الدِّينِ، وقصد في الدِّينِ، وفضل في عبادة الله، يُصَيِّرُهُ الله بذلك ذليلاً بمنزلة اللوم والصغار، ويكون ما يدعي عليه من ذلك عاراً. فكن من الله على حذر شديد. ولا تكن مستهاناً مستضعفاً عليك أمرك. فنسأل الله رب العرش الكريم العظيم أن يهب لنا ولكم من اليقين ما نتصغر فيه كل شيء من أمرنا، حتّى لا يعرف منا كبراً يمقتنا الله عليه، ونستحقّ به عذابه. ونسأل الله الكبير المتعال أن يرزقنا له تواضعاً يملأ به أجواننا خشيةً له.

أما بعد؛ فإنّا سالمون صالحون، نكثر الحمد له، ونضمر حسن الثناء عليه، فيما أبلانا وأنعم علينا فيكم وفي سائر الأمور. فكان الذي امتن الله به من النعم في عافيته إيتاكم ودفاعه لنا عنكم أمراً لا نبلغ من شكره إلّا التّقصير. فأتّم الله علينا وعليكم نعمته، وزادكم وإيانا مزيداً من كرامته، وأقرّ عيوننا ببقائكم وعافيتكم والدّفاع عنكم، حتّى يريكم وإيانا في أمركم وأمرنا ما تقرّ به أعيننا ويكبت به عدونا.

أتاني كتابك في الذي تسألني عنه من الذي تزعم أنّ صدوركم لا تثلج إلى فتيا غيري، فلعمري ما أنا إلّا مُتَعَلِّمٌ مُتَّبِعٌ آثاراً قد وطئت قبلي، وما عندي من ذلك ثقة ولا دلالة إلّا رواية عسى أن نختلف فيها.

• فأما الذي ذكرت من الطّلاق بعد الخلع، وتزعم أنّ ذلك نزل ببعض من تشفقون عليه؛ فإنّ الفقهاء يقولون لا طلاق لمن خلع. وكذلك ينبغي أنّه إذا أُعْطِيَ المال قبله فقد اختلع من أمرها، فليس له فيها أمر، وهي أُمْلُكُ بأمرها، فليس بعد قبول المال له فيها مراجعة، إلّا أن تَطِيبَ نَفْسُهَا. ولو كان طلاقٌ بعد ذلك لا يُمْضِي لِلْمَرْأَةِ أمراً إلّا بذلك لكان له أن يرتجع فيها إن شاء. ولكن انقطع أمره منها بعد قبول المال. وإنما طلاقه بعد ذلك بمنزلة مَنْ طَلَّقَ ما لا يملك.

• وأما الذي ذكرت من العدة في طلاق البكر قبل أن تطمئ فيدركها الحيض في بعض فرض عدتها الشهر أو اثنين، أو عدة المرأة [إن] كان أترابها قد يئسن من المحيض ثم حاضت بعد فرض عدتها، وأخرى تطول بها حيضتها في عدتها، وأخرى يطول بها قعود عن حيضتها وهي من أجل الحيض. كتبت أن أبين لك ما بلغني في ذلك وأراه. فإني أخبرك عن ابن عباس أنه كان يقول: إنما جعل الله الحيض علماً للحبل. فكان عدة الحيض علماً للحبل يُستبرأ به الحبل. وجعل عدة الشهور للاثني يئسن من المحيض مخافة الشبهات.

فأما ما كان يقول في الجارية يدركها الحيض في بعض عدتها؛ فكان يقول: تستأنف عدة الحيض أعجب إليّ، لأنه قد تحمل الجارية ولم يُعلم لها حيض، وقد تحمل المرأة وهي تحيض في حملها، وما صفا له من الأمر أحب إليّ. وبلغنا عن ما يروي الناس عن عليّ بن أبي طالب أنه كان يقول: حيض فيما مضى من الشهور. وذلك لو كان يستبين للناس حبل أو غيره لا شبهة فيه. والثقة أحب إليّ. وأما التي تطول بها حيضتها من عادة جرت عليها فالحيض كما قال الله. وإن كان من حدث داء أو مرض قطع ذلك عنها؛ فإن استبراء الحبل لا شك فيه. فالله أولى بالعدر ولا بأس.

وأما ما ذكرت من المرأة تحيض بعد الإياس؛ فإن أهل الحيض يختلف أمرهنّ. ربما عرض للمرأة انقطاع الحيض من غير كبر إلا ما يعرض من الداء. وربما رأت المرأة الدّم من غير محيض. فإن عرف أنها ممّن لا ينبغي أن تحيض، وكان ذلك من غير عادة تجري عليها في مستأنف الأمور؛ فعدة الشهور والإياس بتزويجها^(١)، وإن كان حيضاً ورأت ورأى الناس أنها ممن لا تياس من المحيض فعدة الحيض. فإن الله جعل لذلك مقادير.

(١) كذا في الأصل، ولعلها: ولا بأس بتزويجها.

• ذكرت في الذي سألتني من أمر الحيض إن تزوج على شيء من هذه الحالات، تسأل كيف يصنع فيما عرف أنه خولف فيه الحق والسنة؟ فإنه ليس من امرأة نكحت في عدة إلا فرق بينهم. فإن أتى عليهم زمان لم يكره أن تعود مناكحة خولف فيه الحق والسنة على شيء من الحالات، إلا ما لم يجمع أهله فقد يكون لهم مراجعة الحق.

• وأما ما ذكرت من نحل الرجل ولده أو أهل قرابته أو زوجته؛ لك من مائي يا فلان كذا وكذا. فما شيء بغير الولد من شيء، وإن لم يبين به فهو ضامن له. وما علم من شيء شيء [؟] من ولد فلان لفلان، وفلانة لفلان، من مال كذا وكذا؛ فإن ذلك يمضي له. وإن كان الولد في حجر والده، وما كان نحل لولد لو يبين له لم يعلم ما هو فهو في الميراث. والتنزيه أن يعلم الولد ما أبان له والده من ماله فأعلمه إياه، وإن قال الناس غير ذلك.

• وأما ما ذكرت [من أمر الزكاة]^(١) وفيه فرضت؟ فلا نعلمها فرضت إلا في الذهب والفضة والأنعام والحرث وفي الأنفس الصّاع.

• وأما ما ذكرت من الجوهر واللؤلؤ، فلا نعلم فيه زكاة وإن كثر ثمنه، إلا ما أريد به التجارة، ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٧].

• وأما ما ذكرت من الزكاة في حلّي نسائككم، وتزعم أن غلبنكم نساؤكم على زكاة حليهن؛ فأجروهنّ على ذلك خير لكم، وإن كرهنّ من قبل التّضييع لذلك فليس عليكم إلا الأمر بالمعروف.

• وأما قولك: كيف يمسك الرجل امرأة لا تزكي مالها؟ فإن ذلك إنما يحرم من قبل الكفر بالزكاة والتكذيب. زعمت إنما كتبت تسألني عن ذلك تقول سمعته عن فقهاء قبلك، وأنهم لم يضعوا الأمر موضعه، وأسأؤوا الرواية.

(١) ما بين معقوفتين ناقص من النسخة (أ).

اكتب إليّ بما كانت لك من حاجة في سرّ وثقة، فإنّك قد علمت الذي نحن فيه، وما نتخوّف من الذي يطلب العلل علينا، فلا تعرض لذلك لأمرٍ تهلكنّا به، أصلحك الله.

نسأل الله القريب المجيب أن يريكم وإيانا في أموركم وأمورنا ما تقرّ به أعيننا، ومن نرجو أن يكون الله قسم به الدّفاع عنّا.
والسّلام عليك ورحمة الله.

* * *

الرسالة السابعة عشرة



بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من جابر بن زيد إلى عبد الملك بن المهلب

سلام عليك.

فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. وأوصيك بتقوى الله، فإنه من يتق الله يجعل له نوراً يمشي به في الناس، ﴿يُكَفِّرُ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمُ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق: ٥]. فلا تجعل - والقوة من الله - أحداً من الناس أحق بإعطاء الله ذلك من نفسه منك، فإن الله لم يبتغ ذلك أن يرى أحداً من الناس باتّباع رضائه واجتناب ما أسخطه منك، في الذي صنع الله إليك خاصّة، وإليكم أهل البيت عامّة^(١).

فإن من الحق عليكم أن تنظروا في الأمر الذي تستحقّ به من الله المزيد عليه، فتأخذون من ذلك بما أنتم حراس على طلبه. فإنه ليس من عباد الله أحد نقصت حاجته من مزيد الله له في عاجل الأمر ولا آجله، وذلك يدرك من الله

(١) في تاريخ الطبري قول يزيد بن المهلب في حضرة الوليد بن عبد الملك: «يا أمير المؤمنين، إن بلاءكم عندنا أحسن البلاء، فمن يشئ ذلك فلسنا ناسبه، ومن يكفر فلسنا كافريه، وقد كان من بلاتنا أهل البيت في طاعتكم والطعن في أعين أعدائكم في المواطن العظام في المشارق والمغرب ما إن المنّة علينا فيها عظيمة». انظر طبعة سنة ١٣٩٠هـ. ج ٦، ص ٤٥٣.

بأن تعرف له نعمه فتشكر له على قدرها، ومن يعرض عن ذلك يكن التغيير ممّا هو فيه من قبل نفسه، والله لا يؤتى من قبله، ولا يميل على خلقه، ولا يظلمهم شيئاً من ذلك هو حقّ عليه لهم فيما يستحقّون به عذابه.

فليكن أمرك وما يعينك تفقد نفسك في الذي أنت به معنى في الذي خلقت ونفسك تراد به وعليه. فإنّ الله شاغل العباد يوم القيامة بعضهم عن بعض بما أبدى لهم من عظمتهم، وأراهم من عفوه. حتّى عرفت الملائكة ومن سرائهم من العباد أن قد بدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون. وما أقبل على كلّ نفس منهم ما اشتغل به عن ما سواه، حتّى ما أحدٌ إلّا وهو يُجَاجِشُ عن نفسه، فترضي كلّ خليفة نجاة نفسه، والهالك من قضي عليه، ولم يكن له قُلُوبٌ في خصومته.

نسأل الله ونرغب إليه في الذي نسأله وندعوه فيه خوفاً وطمعاً، ورغباً ورهباً؛ أن يرزقنا وإياكم في الأمور كلّها ما تَفْلُجُ به حُجَّتُنَا على كلّ خصم هو لنا، حتّى يصيرنا بذلك في الموقف بين يديه أهلَ برهان وسلطان.

• كتبت إليّ تسألني عن عقد النكاح في النساء، فإنّ ابن عبّاس كان يقول: ما أوصي بعقدهنّ في النكاح إذا لم يكن وليّاً. فأما للأولياء فلا يجوز بغيرهم. وما جومع على ذلك كانت فرقة. ولا جماع بعدها على شيء من الحال، وما لم يمس، ذلك إلى الأولياء وحلّه وما كان من عقدة لا وليّ له فعرض القضية يملكه ذلك. أمّا ما جهل من ذلك فلا نزعّم أنّه حرام بعد النكاح المعلن، وقد يسرّني أن يرجع فيه إلى عقدة الرجال من غير فرقة.

وقد زعم ابن عبّاس أنّه يسع مثل ذلك بشهادة رجل وامرأتين في مراجعة ونكاح مع الولي. وقد تكون الأمور على سبل متشابهة، منها ما لا رخصة فيها، والأخرى فيها الرخص. وأهل العلم يشتهون من ذلك ما صفاء، ويكرهون لبسها. غير أنّه قد تكون أمور تتعالى فيما يكره، ولا تبلغ أن تكون حراماً، ولا يشتم أهله عليها.

• وأما ما ذكرت من المرأة لم تمسّ تطلق عند حضور الموت من زوجها؛ فلا، ولا نعمت عين له، حتى تذهب منزلة الضرر وهو حيّ في مثل عدّة من دخل بها، إلا أن تزوّج المرأة، فقد زعم ابن عباس أنّ ذلك يذهب صداقها كلّها، وميراثها. زعم أنّ عليها التّربص على مالها حتى يذهب الضرر. ولولا قول ابن عباس في ذلك لسرّني - وإن تزوّجت، إذا عرف الضرر - أن تستوجب الأمر كلّها ما لم يذهب ميراثها.

ورأي من قبلنا أفضل من رأينا الذي نرى، لم يزل الآخر يعرف للأوّل. وكانوا أحقّ بذلك؛ المهاجرين مع رسول الله ﷺ، والتّابعين لهم بإحسان، فقد شهدوا وعلموا. فالحقّ علينا وطء أقدامهم واتّباع أثرهم. واعلم أنّه لم يهلك قوم قطّ حتى نازع الآخر الأوّل في العلم إذا تمسّك أهل العلم بعلمهم.

ه وأما ما ذكرت من رجل قال لامرأته: ما أراك إلا حراماً عليّ؛ فذلك يُجعل على نيّته.

• وأما ما ذكرت من رجل قال لامرأته: قد خفتُ أن تكوني زانية؛ فلا يبلغ ذلك، وهذا من سوء الظنّ.

• وأما ما ذكرت من امرأة أرادت الخلعة من زوجها فكره عليها، فقالت: بِعْني تطلقه بألف درهم. ففعل لها. زعمت أنّه لا يريد بذلك خلعة؛ فقد أرى المرأة خدعت زوجها، وصار ما أخذ منها من قليل خلعة، وبطل طلاقه بعد ذلك، وهي أملك بنفسها.

• وأما ما ذكرت أنّ لصوصاً لقوا قومًا فسلبوهم، ثمّ أعطوهم طائفة من الذي سلبوهم إياه، فقال اللّصوص: هذا لكم جميعاً نعطيكم^(١) من أموالكم، فقال الرّجل منهم عند ملّتهم: قد علمتم أنّ هذا المال مالي ومتاعي. فقالوا له:

(١) في (أ): نعطوكم.

قد نعلم أنّه مالك ومتاعك، ولكن أعطيناه جميعًا بيننا من الذي لنا. فالمال من الرجل رزق أن يردّ عليه ماله. ليس لقوم أن يأخذوا من مال آخر، وإن أعطوه، إن كان على هذا النحو، إلّا أن يكون القوم فيما بينهم بمنزلة أهل اللّحر^(١) فقد أخبرتك، وقد بلغني أنّهم يتقولون في سعيهم على ذلك.

• وأمّا الذي ذكرت هل يجيء حال من الميراث يكون فيه لأهل النّعمة نصيب؟ أمّا ابن عمر فقد بلغني أنّه أوتي بميراث مولاه فأعتق عنه به وتيسّدق. وأمّا ابن عبّاس فكان يقول: لا أرى أهل النّعمة - إذا لم يكن غيرهم وجعل لهم ولاية - إلّا أحقّ به. كأنه يجعل الولاية شبه الطّعمة لهم ميراثه. وأمّا إن عرف أهل الرّحم فالميراث لهم، وإن لم يكونوا ممّن ينالهم شيء من الميراث في القسمة، وقد يقول الناس فيه ما قد علمت.

• وأمّا الذي ذكرت من المكاتبه لها المال، كاتبت على أمر ثمّ أطلع مواليها على مالها، فقالوا: كتمتنا مالها؛ فإن كانت سئلت عن مالها فأخبرتهم ألا مال لها، فالمال مالهم. وإن كانوا كاتبوها ولم يفتشوا عن شيء فعسى أن يقضى لها مالها، إلّا أنّ عبّاس كان يقول: إن كان له ولد كتبهم في الرّق. ويزعم مع ذلك عكرمة - فتى ابن عبّاس - ما كان من رقيق لم نعلمهم في الرّق، ويقول: إنّما كاتب على نفس واحدة، وما أرى إن جاز له ماله أن يجعل الرّقيق بمنزلة المال، وإنّ أحب مكاتبه الناس أن يقول رجل: لي من الولد كذا وكذا، ولي مال، وأنا بخير، فلا يكون عليه فيه تباعة.

• وأمّا الذي ذكرت من مكاتب كاتب فكتب له الكتاب، فلم يعط شيئًا من أجل صحيفة كتبها، إلّا أن يعلم منه خير ونصح وجهد؛ فليس لهم أن يردّوه وهو غريم من الغرماء، لهم أن يستحثّوه بالذي لهم قبله، ويشتدّون عليه. غير

(١) كذا في الأصل.

أنَّ عكرمة يقول: إذا أدَّى من مكاتبته شيئاً فهو غريم من الغرماء، وإن لم يؤدَّ أخذ بالشَّروط الذي عليه. وزعم أنَّ أهل المدينة لم يزالوا يفعلون ذلك.

• وأما الذي ذكرت من مال المضاربة يعطاه الرَّجل، هل للرَّجل صاحب المال أن يشترط عليه؟ فإنَّ ابن عبَّاس ينهى عن ذلك، إلَّا أن يقول له: لا تبرح بمالي ولا تخاطر به بحرّاً. فأما أن يقول: اشترِ كذا وكذا، ولا تشتري كذا وكذا؛ فلا.

• وأما الذي ذكرت من شركة الدَّهّاقين في أرضهم؛ فلا يحلّ لمسلم شركة مشرك من أهل الكتاب ولا غيرهم، لما يستحلّون من الذي يحرم عليهم.

والسَّلام عليك ورحمة الله.

* * *

الرسالة الثامنة عشرة



بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من جابر بن زيد إلى خيرة بنت ضمرة.

أما بعد؛ أوصيك بتقوى الله الذي امتنّ عليك بتمام النعمة وكثرتها وفضلها، فإنّ الله قد قسم لك من ذلك ما لا تبلغين له جزاء، ولا بدّا لك من أين تسألين عن ذلك. فانظري الذي يوافق الله من الشكر له في نعمه، وإعطاء الله ما تستحقّين به الثواب الذي أثاب به الشاكرين. فإنّ الله أثاب الشاكرين نوالاً، كأنّ الذي أعطاهم من النعيم في الدنيا والتعمير فيها صغير، غير أنّ نعيم الدنيا كلّها في نعيم الآخرة، وتعمير كالجنة في جوف الأرض [؟].

فليكن حرصك وطلبك وجهدك وجدّك واجتهادك وحديثك وهمّك في الذي في الحقّ أن يعينك أمره، فإنّ الله في جنته أخبرك بالذي تنالين ما عنده من الكرامة، وما تسكنين به داره وتجاوره به أوليائه عليه، وأخبرك بالذي يعذب به من عذب من أعدائه. فكلّا الأمرين قد اتخذ الله به عليك الحجة في الذي أقررت بمعرفة ذلك، فليعلم الله منك الصدق والجّد، لا قوّة إلّا بالله.

نسأل الله ربنا وربك إلهنا وإلهك أن يصلحنا وإياك لما أصلح به من قبلنا من المؤمنين، وأن يهب لنا ولك في الذي أنعم علينا ما يرضى به عنا ويجعلنا به شاكرين.

• وأما الذي ذكرت من الماء يحتقن في رحم المرأة اليوم وعاقته ثم تصبه بعد الغسل؛ فلا بأس، وليس عليها غسل منه إلا أن تنضح المرأة بالماء وتغسل ما أصابها منه.

• وأما الذي ذكرت من المرأة تمس ثوبها ولم تغسل يدها من خرقته؛ فما استطاعت المرأة أن توقي ثيابها فلتفعل مع أن الأيد لا بد، فعسى أن تعذر في كثير من تلك الأمور.

• وأما الذي ذكرت عن الوليدة يأتيها مولاها فلا يُنزل فيها، تسألني عن الغسل؛ فلتغتسل فإن الغسل واجب.

• والذي ذكرت من التضح للثياب؛ فلا، إلا أن يصيب الثوب ما يغسل فليغسل ما أصاب من الثياب، فإن لم تقدر على ما أصاب من الثوب تنضحه إن شاءت.

• وأما الذي ذكرت من الرجل يجامع وليدته في بيت فلا يحل والأخرى تنظر إليه فهذا أقبح ما يرى الناس.

• وأما الذي ذكرت من رجل حلف لا يجامع وليدته فمضى لذلك سنة أو نحو ذلك لم يجامع شيئاً من ولادته ثم بدا له أن يجامع؛ فليكفر وليجامع فإنه يعجبني ذلك، ولا تجعل الوليدة في اليمين بمنزلة الحرّة إلا في المظاهرة، فقد زعم أنها بمنزلة الحرّة.

• وأما ما ذكرت من رجل حلف لا يجامع امرأته شهراً ثم مضى الشهر؛ فليطعم وليجامع. فأَيّ ذلك شاء استحَبّ. وأما إن حلف شهراً ثم مضى لذلك

أشهر فإن ناسًا يزعمون أن اليمين انقطعت يوم الشهر، وأما أنا فيعجبني أن يعلم الرجل امرأته ذلك فيقول: قد مضى الشهر وأنا مول منك، ويجمع، إلا أن يكون لا يستطيع ذلك، فإن مضى ولم يراجع في يمينه يخير، فإنه يعجبني أن يجعل عليه يمين مغلظة. فإن لم يبين غير أن عكرمة يزعم أن شهرًا وغير ذلك بمنزلة واحدة.

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

* * *



فهرس المحتويات

كلمة بقلم المراجع	٥
بين يدي الرسائل جابر بن زيد الأزدي مؤسس المدرسة الإباضية	٢٩
رسائل الإمام جابر بن زيد الأزدي	٥٧
١ - الرسالة الأولى	٥٩
٢ - الرسالة الثانية	٦٣
٣ - الرسالة الثالثة	٦٧
٤ - الرسالة الرابعة	٧٣
٥ - الرسالة الخامسة	٧٧
٦ - الرسالة السادسة	٨١
٧ - الرسالة السابعة	٨٧
٨ - الرسالة الثامنة	٩٠
٩ - الرسالة التاسعة	٩٢

- ١٠ - الرسالة العاشرة ٩٤
- ١١ - الرسالة الحادية عشرة ٩٧
- ١٢ - الرسالة الثانية عشرة ١٠٠
- ١٣ - الرسالة الثالثة عشرة ١٠٢
- ١٤ - الرسالة الرابعة عشرة ١٠٦
- ١٥ - الرسالة الخامسة عشرة ١٠٨
- ١٦ - الرسالة السادسة عشرة ١١٢
- ١٧ - الرسالة السابعة عشرة ١١٧
- ١٨ - الرسالة الثامنة عشرة ١٢٢

* * *

